الجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّة الشعبيّة

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

Ministère De L'enseignement Supérieur Et De La Recherche Scientifique

جامعة 8 ماي 1945 قالمة **Université 8 Mai 1945 Guelma**

كلّية الآداب واللّغات **Faculté : des lettres et des langues**

قسم اللُّغة والأدب العربي **Département de la langue et littérature arabe**

الرقم:.....

مذكرة مقدّمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر (LMD)

(تخصص أدب جزائري)

جدليّة الأنا والآخر في رواية" أربعون عاما في انتظار إيزابيل" لسعيد خطيبي

مقدمة من قبل:

- خديجة مساهل

ـ رزيقة عطلاوي

تحت إشراف الدكتور:

عمار بعداش

اللجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصّفة	الجامعة
ليلى زغدودي	أستاذ مساعد أ	رئيسا	جامعة 8 ماي 1945 – قالمة
عمّار بعداش	أستاذ محاضر أ	مشرفا ومقرّرا	جامعة 8 ماي 1945 – قالمة
فوزيّة براهيمي	أستاذ محاضر ب	ممتحنا	جامعة 8 ماي 1945 – قالمة

الموسم الجامعي: 2021/2020

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

تعجز الكلمات في التعبير عن شكرنا وامتناننا لأستاذنا الدكتور "**عمار بعداش**" الذي مازال يأخذ بأيدينا عتبة عتبة في معراجنا العلمي هذا، حتى أتممناه بحمد الله وفضله.

أرشدنا إلى ما فيه خير، وقوّم ما كان معوجا، صوّب أخطاءنا وذلّل العقبات أمامنا.

ومدّنا بأدوات الدراسة والتّحليل، من دون تأفّف ولا تبرّم. وكيف يكون غير ذلك ! وهوالمعروف بسعة الصدر وثراء الوجدان. له منا أطيب الرجاء لطول العمر ودوام الإحسان.

نشكر أيضا، أساتذتنا في كلية الآداب واللغات عموما، وفي قسم اللغة والأدب العربي خصوصا، لما قدّموه لنا من عون ومساعدة في سبيل إتمام هذا البحث والخروج به إلى حيّز النور والحياة، لهم منا فائق المودة والاحترام.

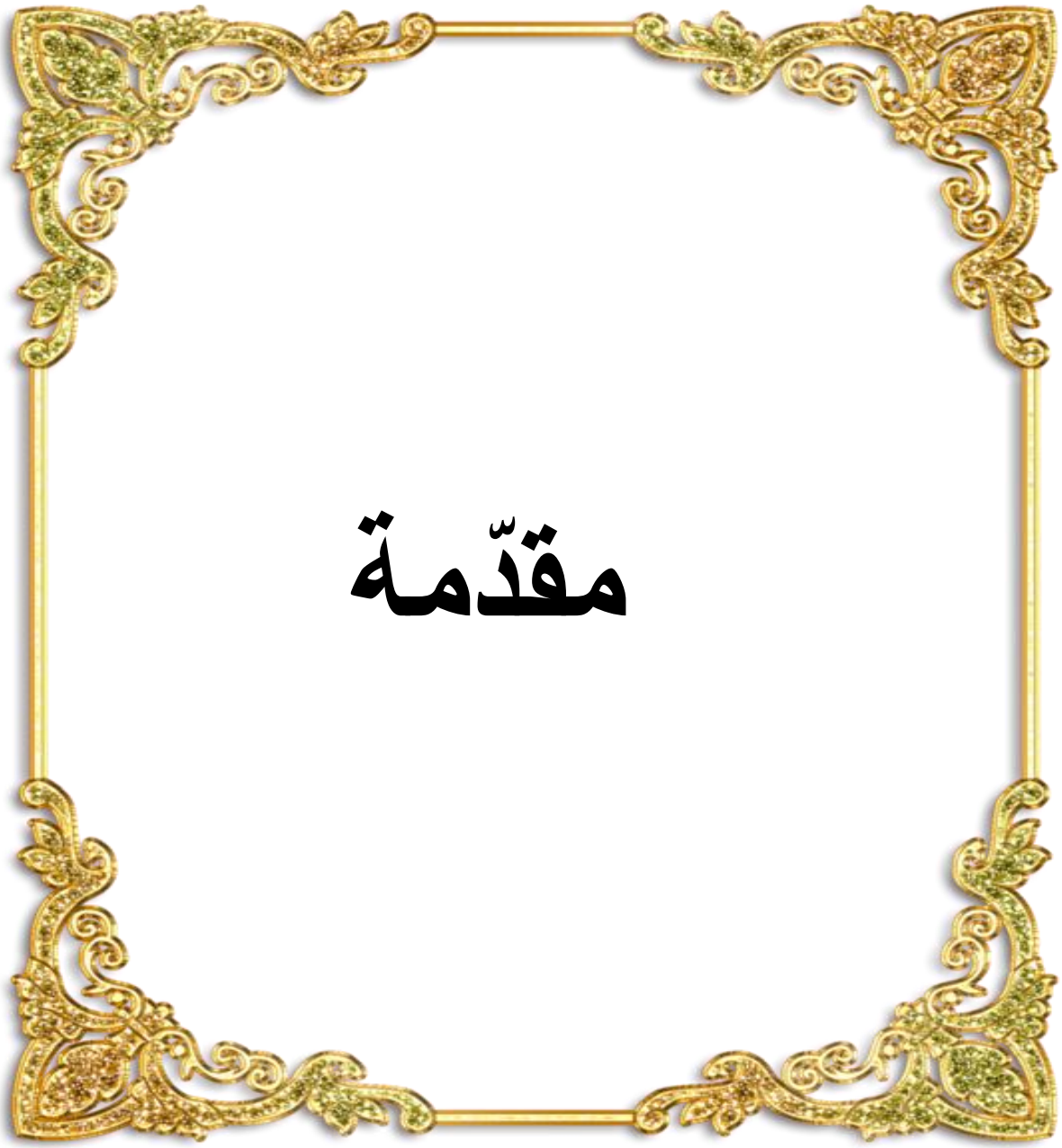

مقدّمة

تعدّ الرّواية من أهمّالفنون النّثريّة التي ظهرت في الساحة الأدبية، إذ نجحت في احتلال المقام الأول في المجال الأدبي وذلك لاتصالها بالواقع المعيش، فهي سجل مملوء بشواغل المجتمع وتطلعاته، وهي وعاء تصب فيه أفكار ورغبات وأحاسيس الإنسان وضعت نفسها موضع المسألة والحوار لتثبت أحقيتها من خلال انفتاحها على مختلف الأجناس الأدبية.

لقد سايرت الرواية الجزائرية نموذج أوضح لهاجس الهوية الذي يطرحه الفرد في مجتمعه مبينا علاقته بالآخر عن نقاط مفقودة تميزه عن الغير وتدافع بطريقة أو بأخرى عن انتمائه لثقافة أو عقيدة ما، ويعدّ الأنا والآخر من المصطلحات التي باتت منتشرة بشكل ملحوظ لما له من تأثير على واقع البشرية العام، وأنهم من بين القضايا المعقدة التي لاقت انتشارا واسعا في العديد من الدراسات الفكرية والنقدية في نختلف شتى العلوم الإنسانية، فالعلاقة بينهما قائمة في الثقافة والإبداع، تضاربت نبضاتها عبر عصور الزمن، فإن الحديث عن "الأنا" يستدعي تلقائيا تجلي" الآخر"، العلاقة متواشجة بينهما في الوقت ذاته، ومن هذا المنطلق اخترنا رواية " أربعون عاما في انتظار إيزابيل لسعيد خطيبي، الذي استحضر روح الرحالة السويسرية "إيزابيل إيبرهارت "عاشقة رمال الجزائر. وظفها بكل أصالة في روايته هذه والتي كانت أنموذجا لموضوع مذكرتنا الموسومة بـ :" جدلية الأنا والآخر في رواية أربعون عاما في انتظار إيزابيل" باعتبارها من أهم الروايات التي عالجت قضية الهوية وإظهارها لصورة المعاناة التي لحقت بالأنا البطلة من قبلالآخر المجتمع.

ويرجع اهتمامنا بهذا الموضوع في البداية إلى مجرد فضول علمي، ليتحول بعد ذلك إلى شغف كبير، خاصة بعد ضربنا في ثانيات الرواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل " حيث بدا لنا وجود تجاذب طافح مغر بين الأنا والآخر.

كما رغّبتنا في دراسة هذا الموضوع أسباب أخرى؛ ذاتيّة وموضوعيّة أهمّها:

- جدّة الرّواية–من إصدارات عام 2016م– ومواكبتها لأحداث ومتغيرات جيوسياسية، منها تعالي صيحات عربية تدعو إلى التطبيع مع الكيان الصهيوني، وتغيير الصورة النمطية التي استقرت في مخيالنا العربي عن الآخر.
- نوعية المتن الروائي وقيمته الفنية، فقد حازت رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل"على جائزة "كتارا""للرواية العربية عام 2017م".

وقد استتبع هذاالاهتمام ظهور جملة من الإشكالات التي دفعتنا إلى البحث فيها منها:

- ما المحددات المفهومية لمصطلحي الأنا والآخر، في الحقول المعرفية المختلفة؟
- ما العلاقة التي تجمع أو تفصل بين الأنا والآخر؟ وكيف صورت الرواية العربية المعاصرة الصراع بينهما؟
- ما مدى تجسيد سعيد خطيبي لتمثيلات وابعاد الهوية في الرواية؟
- إلى أي مدى أسهم كل من المكان والزمان في تكوين هذا العمل الروائي؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي باعتباره أنسب المناهج لدراسة هذا الموضوع، لأنه يمكننا من دراسة ووصف هذه الظاهرة ثم تتبع أبعادها بالتحليل، كما استفدنا منه في وصف طبيعة العلاقة بين الأنا والآخر في الرواية، وحتى نمد البحث بالمادة المعرفية المناسبة وضعنا خطة البحث مكونة كالآتي: من مقدمة، وفصلين، أما الفصل الأول فقد جاء موسوما بـ" الأنا والآخر: محددات نظرية ومفاهييم اصطلاحية"، تطرقنا فيه الى مفاهيم كل من "الأنا" و"الآخر" في اللغة والاصطلاح، وارتباط هذه المفاهيم بالعلوم الأخرى كالفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع..، بالإضافة إلى جدلية الأنا والآخر، دون أن ننسى التعريج على تجليات الأنا والآخر في الرواية العربية.

وأما الفصل الثاني فعنوناه بـ :تمثيلات الهوية وأبعادها وتجلياتها، تطرقنا فيه إلى تمثيلات الهوية (الهوية الدينية، الهوية الثقافية)، بالإضافة إلى جملة من الأبعاد سواء

الوطنية، الدينية والإنسانية، إلى جانب دراسة الذات في الرواية من خلال: الذات القلقة والتائهة، ثم عرجنا إلى تحديد تجليات الأنا والآخر عبر الضمائر السردية والمكان، ثم انتقلنا إلى تصوير طبيعة مقاطع المفارقات الزمنية من إسترجاعات وإستباقات وتبيان أنواعها.

خاتمة أوجزنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها.

وقد اعتمدنا في انجاز هذا البحث على مجموعة من المراجع نذكر منها:

- موسوعة الفلسفة لعبد الرحمان بدوي.
- سرد الآخر (الأنا والآخر عبر الضمائر السردية لصالح صالح.
- بنية الشكل الروائي (الفضاء الزمن، الشخصية) للروائي حسين بحراوي.
- صورة الآخر العربي ناظرا أومنظور إليه للطّاهر لبيب.

وككل عمل علميّ، حالت بيننا وبينإنجاز هذا البحث على الوجه الذي أمّلناه بعض الصعوبات نخص بالذكر منها:

صعوبة تحصيل بعض المراجع، خاصة في ظل ما يشهده العالم بأسره، من وباء "كوفيد19"،ثم ضيق الوقت لاسيما حين تعلقه وهذا الموضوع.

وفي الختام–لا يفوتنا–أن نعترف لأولي الفضل بفضلهم في إنجاز هذا البحث، فنتقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتور الفاضل "عمار بعداش" على كل الملاحظات الدقيقة التي أسداها، كما نجزل شكرنا إلى أعضاء اللجنة المناقشة على قراءة البحث وتقويمه وإلى كل من قدم لنا يد العون حتى استوى جهدنا بحثا قائما على سوقه، هذا والحمد لله أولا آخرا.

الفصل الأو ل:

الأنا والآخر محددات نظرية ومفاهيم اصطلاحية.

توطئة:

تشكل العلاقة بين "الأنا والآخر" جدلا قائما في الثقافة والإبداع، وهي علاقة متواشجة تقوم في الواقع الإنساني العام على أساس التعارض يصل في كثير من الأحيان إلى درجة التضاد، وقد طغت هذه الثنائية في الأعمال السردية العربية، انطلاقا من الشعور بضياع الهوية لتبدأ في البحث عن ذاتها المفقودة أمام الآخر المسيطر عالميا، الذي يشكل وجود ضرورة في حياة الأنا الجماعية.

تبعا لهذا لابد من الوقوف على كل من المفهومين في مختلف العلوم الإنسانية، والبحث عن العلاقة بينهماوكيف تبنى؟ وكيف تجلت كل من الثنائيتين في الرواية العربية والجزائرية؟

طرحت إشكالية الأنا والآخر باعتبارها واحدة من أهم الإشكاليات الفلسفية والاجتماعية وحتى النفسية التي استقطبت اهتمام الأدباء والمفكرين والفلاسفة والمثقفين العرب والغرب على حد سواء، فجعلوا منها موضوعا لإبداعاتهم الأدبية والفنية وحتى التاريخية، ولا تزال ثنائية الأنا والآخر من أهم الثنائيات والقضايا الجدلية المتناولة.

أو لا- الأنا Self[1]

1-لغة:للأنا مفاهيم متنوعة تنطلق كلها من معناها اللغوي، وقد وردت في لسان العرب، قال الجوهري، وأما قولهم أنا فهواِسم مَكْنِي، وهُوَلِلْمُتَكلِمِ وَحْدَهُ،وإنما يُبْنَى عَلْىَ الْفَتحِ فَرْقًا بَيْنَهُ وبَيْنَهُ وبَيْنَ أَنْ التِي هِيَ حَرْفٌ نَاْصِبٌ لِلْفِعْلِ، والْأَلف الأخيرة إنما هي لبيان الحركة في الوقف، فان وسطت سقطت الا في لغة رديئة، كما قال:

أَنَا سَيْفُ العَشِيرَةِ، فاعْرِفُونِي جَمِيعًا، قَدْ تذَرَّيْتُ السَّنَامَا [2]

(1) الدكتورروحي البعلبكي: المورد قاموس عربي- انكليزي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7، كانون الثاني1995،ص173.

(2)ابن منظور: لسان العرب:ج1، بيروت، لبنان، ط3،1999،ص160.

وردت لفظة "أنا" في القرآن الكريم تسعا وتسعين مرة في قول الله عز وجل:" أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه، وهوسريع الحساب". [1]

كما جاء في المعجم الوسيط أن كلمة "أنا ضمير رفع منفصل [2]

أما في منجد اللغة والأدب والعلوم جاءت الأنا بمعنى" ضمير رفع للمتكلم والأنانة قولك أنا"[3]

فمن خلال ما تقدم لنا من خلال التعريفات للأنا، أن لفظة "الأنا" مرتبطة بالشخص المتكلم في حد ذاته.

2- اصطلاحا:

يجب الإقرار أن مصطلح "الأنا" من المصطلحات التي يصعب تعريفها لأن البحث فيها دقيق ومتشعب، لأنه يدخل في مشاركة كبيرة في أغلب الفروع الإنسانية.

" الفلسفة، علم النفس، علم الاجتماع، .....).

ولقد وردت لفظة "الأنا" عند فلاسفة العرب في عدة مواطن والذي كان يعني بها الإشارة إلى النفس المدركة، أما في الفلسفة الحديثة ظهرت بعدة معان:

(1)السيد عمر: الانا والآخر من المنظور القراني، تر: أبوالفضل ونادية محمود مصطفى، دار الفكر،ط1 ,2008،ص 134.

(2)سورة الرعد : الاية 41.

إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط،ج1، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، تركيا، ط2، 1972،ص 68.

(3)لويس معلوف: المنجد في اللغة و الإعلام، دار المشرق والمكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، ط3، 1991، ص19.

ا– المعنى النفسي والأخلاقي :

تختص لفظة "أنا" عند التجريبية بالشعور الواقعي للفرد، هذا الموجود الذي يشعر بما حوله وبذاته كقول "كوندياك أتيين بونودي(condillac etienne Bonnotde) (*)عند الكلام على التمثال:" أن الأنا هي شعوره أي شعور التمثال بما هوربما كان فليس الأنا إذن سوى جملة إحساسات يشعر بها التمثال".

ب– المعنى الوجودي:

وفيه ترتبط "الأنا" بالجوهر الحقيقي الثابت، الذي يصاحب عدة إحساسات واقعية و"يحمل أغراض يتألف منها الشعور، وتختلف هذه الإحساسات، كأن تأتي معا أو تكون متعاقبة، والأنا هنا ثابت لا يتغير الإحساسات والعواطف"[1]

ج– المعنى المنطقي:

تدل كلمة الأنا على المدرك من حيث أن وحدته وهويته شرطان ضروريان يتضمنهما تركيب المختلف الذي في الحدس وارتباط التصورات في الذهن emmnuel Kant(**) "والأنا المتعالي، وهوالحقيقة الثابتة التي تعد أساسا للأحوال والتغيرات النفسية" [2]

(*) كوندياك اتيين بونودي (Condillac. Etienne Bounotde): كاهن وفيلسوف فرنسي ولد في غرونوبل سنة 1714 م .1127هـ . توفي 1780 م – 1194هـ) مؤلفاته: محأو لة في أصل النعارف الإنسانية (1746)، (للأستاذ روني ايلي ألفا : موسوعة أعلام الفلسفة (العرب والأجانب)،ج2، دار الكتب العلمية، مكتبة مؤمن قريش، بيروت، بيروت، لبنان،ط1،1991،ص 311.

(1)جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، دار الشاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، 1982، ص140.

(**) كانط امانوئيل (Kant.Emmanuuil) : فيلسوف ألماني ولد عام 22.4.1724، وتوفي عام 12.2.1804، عا حياته في مدينة كونيغسبرغ، أهم مؤلفاته: أفكار في التقويم المصطلح للقوي الحية 1747، الأستاذ روني ايلي الفا موسوعة أعلام الفلسفة(العرب والأجانب)، ج2، ص245.

(2)جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ص 141.

يرى "مراد وهبة" في معجمه الفلسفي بأن "أنا (Ego.Moi) هو: "الذات" (Même) التي ترد إليها أفعال الشعور جميعها وجدانية كانت أو عقلية أو إرادية و هودائما واحد ومطابق لنفسه وليس من اليسير فصله عن أغراضه، ويقابل الآخروالعالم الخارجي، ويحأل فرض نفسه على الآخرين".[1]

ويقابل "أنا" في اللغة الفرنسية مصطلحان هما(Je)و(Moi):

"Je" يدل على ضمير منفصل الأول وهوالمتكلم، ولكن استعماله الفلسفي يتمحور حول المفهوم المقابل الآخر، اذ هما ثنائيتان متلازمان"Ego. Self" تستعمل غالبا بهذه الصورة من جانب الفلاسفة " الانكليز والألمان" لتدل على تسمية "الأنا"،وهي إحساس الفرد بوجوده، في هذا الكون زيادة على الأفكار التي يتذكرها في نشاطاته اليومية.

هناك تناقض في بعض الأحيان بين الكتاب والفلاسفة عند استعمال كلمتي "je" و"Moi"يرى"بربمون" أن " الأنا" المتكلم "le je" تعبير عن الوعي السطحي وأن الذات "même" هوالنفس العميقة، في نظر لالاند André lalande(*) "للأنا": صفتان فهوظالم بذاته، من حيث أنه يصنع ذاته ضد الكل وهوالمتنافر مع الآخرين من حيث أنه يرغب في استعبادهم لأن كل "أنا" هوالعبد يريد أن يكون المستبد بكل الآخرين. [2]

(1)مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، ط5، 2007،ص95.

اندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، م.تر: خليل احمد خليل: منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط2، 2001، م 1،ص 824.

(*) اندريه لالاند: فيلسوف فرنسي ولد عام 1867 وتوفي عام 1963 في فرنسا مؤلفاته، المعجم التقني والنقدي للفلسفة ، اندريه لالاند https:// m. marefa.org،2021/02/13، 20:30:02.

(2)المرجع نفسه : ن ص.

يرى وليام جيمس (w.james[1]) في نفس الوقت الذي أفكر فيه يكون لدي وعيه بذاتي وبوجودي الشخصي "فأنا هوالذي يعي ذاته، بحيث تصبح شخصيتي كأنها مزدوجة اذ هي في الوقت عينه الذات العرفة وموضوع المعرفة. [2]

وذات (même) أو (Soi)أو (Soi– même) أي عين الشيء (ذاته –نفسه) في "موسوعة لالاند الفلسفية" فتعرفه ب:" ضمير عاقل للشخص الثالث، للغائب أضفت عليه اللغة الفلسفية بعض المعاني الخاصة، يدخل في عدة تعابير تقليدية: في ذاته، لذاته Soi .En) Soi .Par Soi. Pour)" [3]

فالأنا ضروري لمعرفة الذات، والذات ضرورية لمعرفة الغير، لان الإنسان لا يدرك ذاته إلا إذا تصور وجود غيره، فإدراك وجود الغير ضروري لإدراك وجود الذات.

إذن مفهوم الأنا مبني على السيطرة، أي سيطرة الذات على ما تتخذه موضوعاتها.+

3- الأنا في الفلسفة:

تطلق على الذات المفكرة العارفة لنفسها في مقابل الموضوعات التي تتميز عنها الوعي الذي تملكه الذات عن فرديتها المتميزة عن أشياء ذات الوجود الخارجي المادي والموضوعي.

ونجد أنفسنا أمام تساؤل ملح عندما أقول "أنا" فهل أقصد ذاتي الحاضرة الآن وهنا؟ أم أقصد الطفل الذي كان المراهق الذي كان والشاب الذي كان، ومن ثمة لكهل الذي هوالآن والعجوز الذي قدي كون؟ هل أقصد هؤلاء جميعا الذين شكلوا سلسلة متصلة الحلقات قد تكون في مجموعها هذه الذات الحاضرة التي نسميها"أنا"[4]، ولقد شغلت الذات الانسانية بما فيها من

(1)وليام جيمس: ولد 1842/1/11 توفي في 1910/8/26 نيويورك أشهر أعماله البرغماتية ، وليام جيمس https:// m. marefa.org، 2021/02/13، 20:55.15

(2)جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات الفلسفية، دار الجنوب، للنشر نهج فلسطين، تونس(دط)، 2004،ص 57.

(3)اندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، مج1، ص1039.

(4)تركي الحمد: الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الساقي ,،بيروت، ط1، 1991، ص193.

غموض وتنوع عددا من المفكرين والفلاسفة اليونان، وحتى حكماء الصين والهند في القرون الأولى، كما اهتمت الفلسفة العربية بالأنا فبدت "كأنها تمفصل أنطولوجي(*)– إبستيمولوجي(*)

معه" [1]هذا التساؤل لها بين (الوجودي والمعرفي) "يعود إلى طبيعة الثقافة الإسلامية التي ما انتقلت تبحث عن الأنا وتتعرف عليها وعلى طبيعتها من خلال إدراكها المستمر، تعتبر حلقة في تطور الذات وجهها العام، بالإضافة إلى رؤاها حول طبيعة النفس كمفهوم مقابل للأنا في الاصطلاح الفلسفي، من هنا أصبح مصطلح النفس الأكثر شيوعا واستخداما من مصطلح (الأنا) في الفلسفة العربية[2]، ويترتب عن ذلك في قول ابن سينا(*)(Ibn Sina)" إن النفس لا معنى لها إلا المشار إليه بقولي أنا"، وأشار الرازي(*) .(Al– RAzi FAkhaarddine) بقولي "أنا" وإني قد أكون مدركا المشار إليه بقوله أنا، حال ما أكون غافلا عن جميع أعضائي الظاهرة والباطنة،فان حال ما أكون مهتم القلب أقول:" أنا أفعل كذا، وأنا أبصر[3]، وانا أسمع ..... فالمفهوم من أنا حاضر لي في ذلك الوقت، مع أني في

(*) أنطولوجي Ontology: هي قسم من أقسام الموجود التي من الواجب والجوهر تقال على الموجود من حيث كذلك فتعم على جميع الموجودات فهي قسم من أقسام ما بعد الطبيعة.

(*) ابستيمولوجي Epstemology: فرع من فروع الفلسفة يبحث عن أصل المعرفة في جدودها من حيث أنها مدخل ضروري إلى الميتافيزيقا.

(1)عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، ج1، المؤسسة العربية، مصر، ط1، 1984، ص114–117.

(2)جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، 79 نهج فلسطين 1002، تونس، 1994، ص 50.

(*) ابن سينا Iben Sina أبوعلي الحسين بن عبد الله بن سينا أشهر أطباء العرب ولد في صفر سنة سبعين وثلاثمائة سبتمبر 980م أهم مؤلفاته كتاب منطق المشرقيين .ص29

(*) الرازي فخر الدين Al Razy Fakhraddine، فقيه متكلم مفسر للقران وفيلسوف اسمه أبوعبد الله فخر الدين مجمع بن عمر بن الحسن الرازي، ولد عام 1149– 543 وتوفي (1209 م – 605هـ): أهم مؤلفاته: في الفلسفة: شرح الإشاراتوالتنبيهات لابن سينا.

(3)المرجع نفسه :ص59.

ذلك الوقت أكون غافلا عن جميع أعضائي".[1]، وفي العصر الحديث لقيت اهتماما موسعا في نطاق الفلسفة بصفة عامة ففي نظرية المعرفة ترجم مصطلح الذات بالماهية أي مجموعة من الخصائص الذاتية، بموضوع معين وتقابل الوجود ومنه التعبير الشائع للوجـود والماهيـة" [2]

كما أسهمت الفلسفة الوجودية بنصيب وافر من منافسة هذا المصطلح انطلاقا من قناعتها بأن السؤال عن الأنا هوسؤال عن الوجود، وذلك بقول:" أن الوجود هووجود السؤال عن الأنا هوسؤال وجودي يقول "رويه كولارد" :" إن لذاتنا وآلامناوأمالنا ومخاوفنا وجميع إحساساتنا تجري أمام الشعور كما تجري مياه النهر أمام عيني المشاهد الواقف على الشاطئ[3]" " أي ذاتي تعرف ذاتها وتساعدها مثل ما يشاهد الإنسان مياه النهر تجري أمامه يعني سهولة الاطلاع على ما يجري، في دواخلنا نأتي الآن لنرى مفهوم الأنا في منظور علماء النفس، علم الاجتماع، ... لكي يتضح اللبس أو الفرق بين المفاهيم المتخذة من هذه العلوم في حق الأنا.

4- الأنا من المنظور النفسي:

اهتم علماء النفس بالنفس الإنسانية على دراسة "الأنا" بكل تجلياتها وللحديث عنها، لا يمكن إغفال الدور الذي أداه الفيلسوف "سيغموند فرويد"(Segmund Freud)[*]، في هذا حيث قسم الجهاز النفسي إلى ثلاثة أقسام وهي: "الهو، الأنا، الأنا الأعلى". (Super EGO – EGO– ID)

(1)جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، ص139–140.

(2)عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، ص23.

(3)جميل صليبا: علم النفس، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، ط1، 1984، ص388.

(*) سيغموند فرويد "Segmund Freud": ولد بهولندا سنة 1856 توفي بالسويد طبيب نمساوي مؤسس مدرسة التحليل النفسي، أهم أعماله مبادئ الفلسفة خطابات الطريقة–https://www.arageek.com/bio/sigmund freud,12/12/2020.16:15:14

الهوهواليبيدو، الأنا(الضمير)، والأنا الأعلى (المجتمع)، "ف الهو(ID) هومركز الدوافعوالرغبات، والأنا (EGO) يتفاوض مع الهوويرضي الانا الأعلى، أما الأنا الأعلى(Super EGO) فهوالذي يبقينا على الصراط المستقيم الأخلاقي". [1]

في تقسيم فرويد للجهاز النفسي إلى: الهو، الأنا، الأنا الأعلى جعل الأنا تتوسطهما، لتشكل حلقة اتصال بين العالم الخارجي والحاجات الغريزية.

زعم كل من "فيكتور كوزان"([*]Victor Cousin)، "أدولف غارنييه"
([*])GarnierAddolphe ( )

أن "الأنا" جوهر حقيقي ذووحدة وهوية، فالشخصية ليست ما نشعر به من الإحساسات والعواطف إنما هي حقيقة مفارقة لا تتبدل إلا بتبدل ما يجري على مسرح الشعور من الأحوال الزائلة[2]، "أما" الأنا هي قوة ووليدة الصراع القائم بين سلطة العالميين: الخارجي والداخلي، في وقت احتدم الصراع بين قوى الشخصية الثلاث ودوافعها الغريزية وبين الظروف التي تستشيرها في العالم الخارجي ظهرت تلبية لحاجة النفس البشرية للتوازن النفسي والاجتماعي الذي يستدعيه مبدأ الواقع والعقل" [3]

(1)www.Syr-res/Com، 12/12/2020، 15:13:38.

(**) فيكتور كوزن : "victor cousin "ولد سنة 1792 وتوفي 1867 فرنسي الأصل أشهر أعماله تاريخ الفلسفة في القرن 18 الثامن عشر05: 22: 14,19/12/2020.https://ar.esc.wiki/wiki/victor_cousin

(***) ولد غارنييه ادولف Addolphe Garnier: 1801-1864 بباريس فيلسوف وعالم نفس من أشهر اعماله بحث في علم النفس. الأستاذ روني ألفا:موسوعة أعلام الفلسفة العرب والاجانب.ج2.ص76

(2)جميل صليبا: علم النفس, ص388.

(3)سهادتوفيق الرباحي: ظاهرة الأنا في شعر المتنبي، وأبي العلاء دراسة موازنة نقدية، جامعة العلوم الاسلامية العالمية، 2010، ص15-16.

فقد اقترح "جروديك" (Georg Groddeck) (*) أن نطلق على اسم "الأنا" بأنه الكيان الذي ينشأ عن جهاز الإدراك الحسي والذي يصبح ما قبل الشعور [1]، فقد استطاعت أخرى، عاش الفرد متوازن فهي تمثل الجانب السيكولوجي، الهوالجانب البيولوجي الأنا العليا الجانب السوسيولوجي، يعني أن الآخر من الوجهة الفرويدية هوأنا ثانية متشابهة أي هجينة الاثنين.[2]

يعرفها "كارل غوستاف يونغ"(**Carl Gustav jung**)(الأنا): مركب تمثيل يشكل بالنسبة لي مركز العقل الواعي ويبدوأنه يمتلك درجة عليا من الاستمرارية والتماهي مع نفسه هي مركز حقل الوعي لا تختلط مع كلية النفس، كما نجد أن هناك من علماء النفس ميزوا بين " الأنا والذات" فيونغ يراهما مركبين مستقلين، بل يزيد القوة لتصبح المسافة بينهما والتي تفصلهما هي ذاتها بين الشمس والأرض[3]، ففي رأيه لا يمكن الخلط بينهما.

ومنه نستطيع أن نفهم أن الذات أو سع دائرة من "الأنا" كونها تضم بالإضافة إلى الأنا الفردية أنا أخرى، ليكونا كيانا أكبر وهي النحن أو الأنا الجماعية فالذات هي نتاج التقويم الكلي الذي يقوم به الفرد لمظهره وأصوله وقدراته وإمكاناته واتجاهاته وانفعالاته التي تشكل قوة موجهة له في مختلف سلوكاته.

كما لا يفوتنا التذكير بما جاء به "بول ريكور"(paul Ricors)(*) بخصوص ماهية الذات (même)وتداخل مفهومها مع الأنا، يؤكد أن كلا المفهومين تجمعهما قرابة تصل حد

(*) جروديك: ولد 1866 وتوفي 1934، رائد في الطب النفسي الجسدي أشهر أعماله :عين فرأو نبروبلم Hin Zu Gottnatur ,https://ar.esc.wiki/wiki/Georg_Groddeck

(1)الأنا والهو: سيغموند فرويد تر: عثمان نجاتي، دار الشروق، القاهرة، ط1 ,1954، ص40.

(2)جدلية الأنا والآخر في الشعر الصوفي: صالح إبراهيم نجم، أطروحة الدكتوراه، ص 20.

(3)كارل غوستاف يونغ; ولد1875 توفي 1961عالم نفس من أعماله جدلية الأنا واللاو عي...جوزيف كامبل كارل يونغ وحياته /https:/ar.wikipedia.org/wikiكارل يونغ

(*) بول ريكور paul Ricors: مفكر وفيلسوف فرنسي، ولد عام (1913– توفي 2005)، أعماله: الإرادي واللاإرادي (1950).الاستاذ روني ايلي الفا:موسوعة اعلام الفلسفة(العرب والاجانب),ج1,ص516

التدخل: هما الذات والأنا "Le Soi" "فالذات مؤثرة ومتأثرة فهي فاعل ومفعول في الأنا نفسه، فالأنا هي الذات عندما تفكر قد تعمل عمل الفاعل هنا فهي تعي ذاتها في العالم الخارجي للأفراد تحل محل المفعول وتصبح عملية أخذ ورد أي تتأثر بالمجتمع، في حين أنها ليست تحصيل حاصل فقط لتفاعلات الآخرين.

ويبقى مفهوم الأنا متعدد المدلول يتعدد باستخدام المنظرين فيرمز له المنظرين في علم النفس الى وضع مفهوم محدد لهذا.

5- الأنا من منظور علم الاجتماع:

إن العلاقة بين الذات وعلم الاجتماع علاقة قديمة، فعلم الاجتماع هوالعلم الذي يدرس الذات من خلال محيطه ولذا يعتبر الذات (الأنا) أنه فرد واع بهويته المستمرة ولارتباطه بالمحيط[1]، الذي يؤثر في الإنسان وهويتأثر به

" تعرف الأنا في علم الاجتماع بأنها فرد واع بهويته المستمرة ولارتباطه بالمحيط، فإحساس الفرد بأناه لا يتحقق إلا بعد إدراكه لكينونته أو لا كيف لا وجسدي هومركز التوجه، نقطة الصفر منه أرى كل ما أستطيع رؤيته ..... فهوعامل محرك لمجرى الإدراك" [2]، ويولد الإنسان عاجزا ضعيفا فتزوده الهيئة الاجتماعية بوسائل لحفظ بقائه فهومدين للمجتمع، "مثلما ما هومدين للطبيعة بوجوده الأمر الذي يؤكد لنا أن في كل فرد منا موجودين :احدهما اجتماعي يأتينا بطريقة البيئة، والآخر فردي يرجع إلى عناصر حياتنا الذاتية" [3]

(1)أشابوت ذهبية: تشكل الذات في رواية الذهبي لـ : لوكيوس أبوليوس النوميدية، سيميائية ثقافية، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2014، ص29.

(2)بول ريكور: فلسفة الإرادة الإنسان والخطاء، تر عدنان نجيب الدين، المركز الثقافي المغرب، ط2 .لبنان، 2008، ص15.

(3)جميل صليبا: علم النفس، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، لبنان،ط2, 1984، ص99.

ففي كل واحد منا أثر اجتماعي الذي تحققه – الأنا– " فان الأمر يفترض بوجود حالة أخرى اسمها " نحن" حيث إننا إذا استطعنا أن نتصور " الأنا" قوى من بين القوى تضم " الأنا بحيث يصبح جزءا من الكل ولا يقوم إلا كقوة مستقلة". (1)

لكن على الرغم مما سلف، فان الإنسان لا يتوصل إلى الشعور الحقيقي بشخصيته إلا حين يجرد ذاته من الجسد، ولا يفتأ هذا التجريد يزداد حدة ووضوحا حتى تصبح الشخصية ذاتا متحققة الوجود بالفعل، وتسمى آنذاك ب " الأنا" عند علماء النفس الاجتماعي، الذين يقسمون العوامل المؤثرة في تكوين أنا الإنسان إلى ثلاثة عوامل هي:

- العامل الحيوي: وهومجموع الإحساسات الجسدية.
- العامل النفسي: وهومجموع الذكريات والتصورات والأفكار. (2)
- العامل الاجتماعي: وهوما يتصل بنا من آثار الحياة الاجتماعية.
- إذن إن الإنسان لا يستطيع أن يقطع صلته بالحياة الاجتماعية بل هي موجودة معه في عزلته، يعيش في وسطها ويستنشق من ريحها فلا حياة للنفس الفردية إلا داخل البيئة الاجتماعية.

6- الأنا من المنظور القرآني:

إن قضية الأنا ممتدة منذ القدم منذ مجيء الإسلام، ومن هن جاءت هذه الثنائية في القران الكريم، فالمعتقد الديني هوأوّل نشوء لظهور الثنائية في التاريخ الإنسان في مقابل "الأنا"، فقد وردت في القران الكريم بصيغة (أنا ، إني، إنني، إنا، أنا، نحن) دالا على ذات الله تعالى. (3)

---

(1)مصطفى سويف: الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، مكتبة لبنان العرب، دار المعارف، مصر، د ط، 1951، ص114-115.

(2)جميل صليبا: علم النفس، ص 386.

(3)السيد عمر: الأنا والآخر من المنظور قراني، تر: أبوالفضل ونادية محمود مصطفى، دار الفكر، سوريا، ط1، 2008، ص 14.

يقول الله عز وجل:" نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم" (الحجر. 49).

وسورة الأنبياء أية 25، وسورة مريم/ 67، فقد ورد الضمير "أنا" تسعا وتسعين مرة، كل تلك السور تشير إلى العلاقة بين الله عز وجل وبين مخلوقاته.

فقد أجمعت الديانات السماوية جميعا على قصة ادم وحواء، ثم قصة قابيل وهابيل، فنجد أن القران الكريم قد أبرز من خلال هاتين القصتين الأنا ونشوء الآخر منه، ففي الأول كان ادم وحواء يمثلان ذاتا واحدة، وأنا متشابكة واحدة، في حين جاء الشيطان بمثابة الآخر، شهدت هذه العلاقة بينهم توترا معروفا، فبعد صراع إغوائي نفسي بين الأنا الأدمية والآخر "الشيطان" استطاع الأخير أن يقسم الأنا الواحدة إلى أنا ادم وآخر هي حواء [1]، **تلك التي أغوت (آدم) كانت سببا خروجه من الجنة.** [2]

جاءت "إني " الدالة على الذات الإلهية اثنتين وعشرين مرة مشيرة إلى الانفراد الله تعالى بعلم غيب السماوات والأرض وإطلاق علم الله تعالى فوقوله تعالى:" قال يا ادم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون" البقرة/ 33.

وردت لفظة (نحن) دالا على الذات الإلهية مبينا محاور العلاقة بينه تعالى وبين البشر، الله هو الوارث للوجود كله، وسع علمه كل شيء. في قوله:" نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما".

(1) المرجع نفسه: ص134.

(2)أحمد ياسين السليماني: التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، دار الزمان، دمشق، سوريا، ط1، 2009، ص88.

كما وردت لفظة أنا على لسان الرسل في القران مبينة لحدود علاقاتهم بالله تعالى وبالموجودات عامة سورة الأنعام 79، الأعراف 188[1]، وغيرهم هذه الأنواع التي تعددت في كتابه" عز وجل للدلالة على قدرة الخالق وعزته وعلاقاته برسله وملائكته وبشريته أجمع.

7- الأنا في النص الإبداعي:

يعدّ الشّعر تعبيرا عن ذات الشّاعر،فهويتناول قضايا وموضوعات شغلت تفكيره كقضايا أمته والتي تعانيه من هزم الثورات وفشلها.

مما أدّى إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية والسّياسيّة والاجتماعيّة، وانتشار الفقر، والأمية، والجهل، فأصبح يعاني من التشاؤم واليأس والإحباط، "فهوتعبير عن نزاعات النفس الإنسانية بأسلوب تظهر من خلاله العلاقة المباشرة بين النص والذات المنشئة" [2]، فلا تكاد " قصيدة من القصائد تخلومن ذكر (الأنا) ليشكل حضورها البارز في الشعر العربي قديمه وحديثه، تستدعي الاهتمام إذ من الشعراء من جعل قصائده أشبه بالاعترافات الشخصية التي عبرت عن معاناته هي بمثابة الفضاء الشعري يعاد فيه إنتاج الشاعر أي سيرته الذاتية من خلال (أنا المتكلم)" [3].

وقد لفتت مسألة الحضور البارز للأنا في الشعر أنظار كثير من الدارسين المحدثين، معتمدين على مناهج مختلفة، ففي دراسة المتنبي[*]، أدرك تميزه وتفرده مما دفعه إلى تعظيم الذات، والتعالي على الآخرين نستطيع أن نلحظ الأنا الجبارة العاتية، وظاهرة الفخر الذاتي منذ نشأته، وسعى للوصول إلى أعلى المراتب فقد استحوذالمتنبّيعلى أعلى الدرجات، فسما

(1)السيد عمر: الأنا والآخر من المنظور القراني، ص 138-139.

(2)ندى بنت محمد الخازمي: الذات في شعر حسين، دار النشر سرحان، 2010، ص14.

(3)حاتم الزيدان العيد جلولي: جمالية المراوغة والتوظيف الضمائري للأنا والآخر، ص199.

(*) أبوالطيب المتنبي Almutanabbi أحمد بن حسين بن الحسن ابن مره بن عبد الجبار مواليد العراق(الكوفة) ولد عام 915-965 شاعر العصر العباسي https:// www.arageek.com/bio/al-mutanabbi ، 01:16:44، 2021/5/7.

على الناس جميعهم، وأصبح لا يتقي عظيما ولا يخاف أحدا، وأبعد من ذلك فالجميع محتقر في نظره يقول:

أَيَّ مَحَلَّ أَرْتَقِي ***أَيَّ عَظِيمٍ أَتَّقِي؟

وكُلُّ مَا قَدْ خَلَقَ اللَّ*** هُومَا لَمْ يَخْلُقِ

مُحْتَقَرٌ فِي هِمَّتِي*** كَشِعْرَةٍ فِي مِفْرَقِي

إنّ الإغراق في مدح الذات سمة معروفة لدى الشاعر، ولكن ما تبرير هذا الإغراق في المدح والشعور بالعلو؟ أ هوإحساس الشاعر بالتميز مما أسهم في تكريس تعاظم الأنا حتى المغالاة؟ أم إحساسه بنقص النسب ونزوعه إلى التعالي متجذر في ذاته وهومقوم من مقومات شخصيته، أكسبته اعتدادا وثقة بالنفس وتعاليا على الآخرين حتى بات مقتنعا أن لا أحد فوقه ولا أحد مثله [1].

يؤكد أحد الدارسين وهويسلط الأضواء على اغتراب ذات"المتنبي"أنها عندما يتصدر الكلام يكون لها جلبة كبر و[*]خيلاء[2]

ومن هنا نستنتج إن العلاقة بين الأنا والشعر هي علاقة قوية فمن خلاله يستطيع الشاعر الإفصاح عما يختلج ذاته من أحاسيس كالشعور بالقلق والأمل وغيرها من المشاعر التي يعيشها الأديب وأثرها فيه، فهوشعورها الداخلي ومنجزها القولي والإبداعي الذي يتصور آمالها وانطباعاتها، ورؤاها في كل ما يحيط بها من عناصر الكون والحياة، هذا التفاعل ينشأ

(1)رولا خالد محمد غانم: الآخر في شعر المتنبي، إشراف د. عبد الخالق عيسى، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في لغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2010/10/7، ص 9-10.

(*) خيلاء: قال الراغب في المفردات: الخيلاء: التكبر عن تخيل فضيلة تراءات للإنسان عن نفسه، كما في هيئته الاسبال.

(2)جنيدي رضوان: إيقاع الأنا في شعر العربي(علي المصري القيرواني الضرير 420هـ -480÷) أنموذجا، جامعة بسكرة مجلة الأثر العدد 10، ص 296- 297.

داخل الذات في داخلها تخلق هذه العملية الشعرية[1]، وأن موضوعات الكتابة عن الذات (الأنا) في الأب متعددة لا تشمل جميع مناحي الحياة.

ثانيا-الآخر بين المفهومين اللغوي والاصطلاحي:

يكتسي مفهوم الآخر حلة لغوية اصطلاحية وفلسفية جعلت منه مفهوما غنيا بالألوان فسيفسائية لهذا سيكون هذا المقام سامحا لتوضيح هذه الرؤى بدءا من الناحية اللغوية مرورا

الناحية الاصطلاحية:

1- لغة:

"الآخر" في معجم الوسيط أحد الشيئين ويكونان من جنس واحد، يقول (المتنبي):

وَدَعْ كُلَّ صَوْتٍ غَيْرَ صَوْتِي فَإِنَّنِيأَنَا الصَّائِحُ المَحْكِيُّوالآخر الصَّدَى

وترد بمعنى "غير" ، قال امرؤ القيس:

إِذَا قُلْتَ هَذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضَيْتُهُوَقَرَّتْ بِهِ العَيْنَانِ بَدَلَتْ آَخَرًا . [2]

وجاءت لفظة – أخر – في القران الكريم في قوله تعالى :" فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأو لين فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما".[3]

يعد مصطلح " الآخر" واسع الدلال، إذ تتسع مفاهيمه ودلالاته فقد ورد هذا الأخير في مختلف المعاجم اللغوية العربية، منها لسان العرب لابن منظور: اسم على أفعل، والأنثى أخرى إلا أنه فيه معنى الصفة لأن أفعل من كذا لا يكون إلا في الصفة.

الآخر بمعنى غير، لقولك رجل آخر وثوب آخر، وأصله أفعل من التأخر لسكونها وانفتاح الأو لى، وتصغير آخر، أو يخر والجمع آخرون، ويقال آخر وهذه أخرى في التذكير والتأنيث ....." [1]

(1)ندى بيت محمد الخازمي: الذات في شعر حسين، ص 15.

(2)إبراهيم مصطفىوآخرون: معجم الوسيط، مكتبة رحمانية , د ط , د ت, ص20.

(3)سورة المائدة: الآية 107.

2- اصطلاحا:

إن تحديد مفهوم "الغير" أو "الآخر" ما زال جديدا وغامضا في تاريخ الفكر الإنساني،كما في العلوم الإنسانية احتلت الآخر مكانة بارزة نظرا لارتباطها الجدلي بموضوعات أساسية ملازمة الأنا/ الذات/ الهوية..... الخ، والغير والغيرية مرادف الآخروالآخرين، وهواسم جمع لا مفرد له وفي اللاتينية والفرنسية، وبالنسبة للإنجليزية.

فالمفهوم الاصطلاحي كلمة الآخر المفردة " إن الآخر مختلف بشكل أساسي عن (نحن)، وبالنسبة إلى أرسطوفإن الآخر المستبعد هوالغريب الذي لم يتمكن من استخدام وفهم اللغة المشتركة"[2]، ووردت كلمة الآخر ذاتها خمس عشرة مرة مناسبة بصيغة المفرد نحوقول الله تعالى:" لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً". سورة الإسراء الآية 22.

وكذا قول الله تعالى:" وَأَمَّا الآخر فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ" سورة يوسف الآية 41.[3]

الرغبة في تحديد مفهوم الآخر من الناحية الاصطلاحية تحيل التلاقح الجوهري بين الآخر والغير (Autre) وتكون بمعنى"سوى"، نحوجاء وغيرهم، أي سواهم. فهونقيض الذات (Meme)، ويقال على كلمات شتى(Divers)، مختلف (Diffrént)، مميز (Distinct)، على أن هذه الأخيرة تتعلق أو لا بالعملية العقلية التي تعرف" بالغيرية" في الفرنسية (Altérité)، وفي الانجليزية (Otherness) هي مشتقة من الغير (Autre) وهوكون كل من الشيئين خلاف الآخر، وقيل كون الشيئين بحيث يتصور وجود أحدهما مع عدم الآخر، وهي كون المفهوم من الشيء عين المفهوم الآخر.

قال ابن رشد Avérroès[*]:" إن الذي يقابل الواحد من جهة ماهوهوهي الغيرية.[1]

---

(1)ابن منظور: لسان العرب، ج1، بيروت، لبنان،ط3, 1999، ص87.

(2)الفصل الثاني مفهوم ومواريث"العدو" في ضوء عملية التوحيد والسياسات الأو روبية: الطاهر لبيب: صورة الآخر ناظرا ومنظورا، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان،ط1, 1999، ص54.

(3)السيد عمر: الأنا والآخر من منظور القرآني، ص153.

فهي تشمل معنى التحول، التبدل، المعارضة، والغيرية (Altruisme) عند المحدثين هي الايثار وهي مقابلة للأنانية (Egoisme) تطلق في علم النفس على الميل الطبيعي الى الغير وحب الذات. (2)

3- أبعاد الآخر:

من صعوبة البحث في مفهوم الآخر، انه يتمثل في أكثر من بعد، وان كان يربطه رابط مشترك واحد، بأنه ليس الذات أو الأنا، فهوتارة يعني أن الغير هواللصيق والحميم (أنت) الوالدين، أحيانا يعني الآخر الجمعي القريب (نحن) المجتمع الذي يعيش فيه،

أو آخر(الآخر) البعيد (هم) الذي قد يكون هذا (الآخر) هوالعدوالصديق.

ويذهب "جيمس أهو(james Aaho) الى أن الحياة تمارس كالتحام الأشياء ذات خصائص محددة، وهنالك بين هذه الأشياء وقبل كل شيء (أنا) و(ما ليس أنا) ويتكون هذا الأخير من أشياء طبيعية وأشخاص يدعون (آنت) أضف إلى ذلك أن هنالك تمييز بين (أنت) حميمية تنادي " بالاسم الأو ل" وآخرين بعيدين "ينادون باللقب أو الاسم الكامل"، وفي النهاية فان (أنا) و(أنت) الحميمية يشكلان (نحن)، بينما يتشكل (هم) من حاصل (أنت) الغريب "إذن" "أنا" في جوهرها مسألة غير ثابتة خاضعة لمتغيرات وعوامل عديدة تحورها وتغيرها رغم ثبات الشكل والايطار العام لهذه (أنا)، نعم هناك نوع من الثبات في اسمي وبعض الخصائص العامة لسلوكي وعلاقتي مع الآخرين، إلا أن الجوهر متغير، بل وحتى تلك الخصائص العامة لسلوكي وعلاقتي مع الآخرين ليست إلا نتيجة لمجمل التغيرات التي

(*) ابن رشد .(Abu lwalid.) Avérroès) : هوأبوالوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ولد في قرطبة عام 520هـ /1126 وتوفي عام (595-1198هـ) ,من اهم مؤلفاته :كتاب تهافت تهافت , الأستاذ روني ايلي ألفا: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ج1، ص 22-23.

(1)جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، ص 130-131.

(2)اندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تر: أحمد خليل، م3. منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001م، ص1309

مررت بها واستوعبتها وتكيفت معها ولم أحصل عليها في لحظة منقطعة الصلة بغيرها من لحظات أو لد بها كاملة متكاملة.

وهذا هوبالضبط ما نسميه بالتجارب وأثرها على هويتي التي هي أنا. [1]

أ-الآخر الحميم (أنت)

يتكون الآخر المفرد الحميم منذ اللحظة ليتنسم الطفل عبير الحياة تتلقفه يدي والده بكل رعاية ورحمة وعطف، والذي في النهاية يشكل بها هذا الكاتب أل (أنا) من (أنت) الحميمية، ونحن القريب، لذلك يعتبر الآخر الحميم أنت الأهم في عملية تكوين الطفل لأن الأم الأقرب والألصق للطفل هي التي توجهه وجهة السليمة ولسوء الحظ للطفل أحيانا هي التي تظلل طفلها وتجعله يشك على نحوما في كفايته وأهليته.

وعبر هذه العلاقة يتضح أن الآخر (أنت الوالدين) هما المؤثر الأو ل والأهم في تكوين وبلورة سلوك الطفل، وفي بناء خبراته التي تؤثر في تصوره لذاته وللآخرين من حوله، وإما تكون هذه التصورات عن ذاته وعن الآخر سلبيته وإما تؤثر أيضا على نظرته العامة للأفراد المحيطة بالطفل لا تؤثر فقط في مفهوم ذاته، إنما تؤثر أيضا على نظرته العامة للأفراد الآخرين، أي تقييمهم وإنشاء أحكاما تجاههم، وهذا المفهوم يسمى أحيانا(الآخر المعمم) هوبمثابة طريقة للإشارة إلى الحقيقة بأن الفرد يميل لتكوين مفهوما شخصيا عن الخصائص التي يتمتع بها الناس مثلا: (مسالمين، معادين، محايدين) [*]، يقدم الآباء لطفل معلومات موثقة عن كيفية إدراكه للغرباء مثل: (لا تثق بالناس كثيرا)، هذا بالإضافة إلى أن الطفل غالبا ما يكون له خبراته المباشرة الخاصة مع الآخرين.

---

(1)https://drabbass-wordpress.Com.cdn.ampproject.org/v/s/drabbass-wordpress.com/16/01/2013 ,السيكولوجي-والفلسفة-بين-والآخر-الأنا-5/5/2021.00 :12 :58.

(*) أسماء بياتريكس: الآخروالجانب الملعون، نقلا عن الطاهر لبيب صورة الآخر ناظرا ومنظور إليه، مركز الدراسات، الوحدة العربية، بيروت، لبنان, ط1,1999، ص93.

ب-الآخر القريب (نحن):

إن الإنسان ليس كائنا متفردا في الحياة، إنما هومنذ اللحظة الأولى عضوفي جماعة معينة فمن خلال الآخروبالآخر يكشف ذاته، ومفهوم الآخر (نحن) يشير إلى صيغة معينة للأنا تتحقق في حالة وجود جماعة تضم في عضويتها عددا من الأفراد يشعرون بالتعأو ن فيما بينهم، أو الاختلاف مع غيرهم.

وقد اعتبرت "أسماءلاريف بياتريكس"(Asma larif beatrix) أنه يمكن القول: أن الآخر هوالذي يقدر ما ندرك ندرك نحن"، وصورة[1] الذات الجماعية (نحن) والفرق بين الاثنين هوفرق في مستوى التحليل وليس ، فان كانت الأنا هي الذات الفردية التي تقدم بها نفسي للآخرين (أفرادا وجماعات) وأدرك من خلالها هذه الذات (سواء بشكل زائف أو حقيقي، فان النحن هي الذات الجماعية التي أقدم بها نفسي بصفتي فردا من جماعة للآخرين، وأدرك من خلالها كينونتي الاجتماعية وعمري التاريخي بصفتي جماعة لا فردا، سواءا كان هذا الإدراك أو الوعي زائفا أو حقيقيا".

من خلال الآخر المجتمع الذي يعيش فيه الفرد، عبر التفاعل الاجتماعية بينه وبين البيئة المحيطة به، يكون الفرد في البداية ذاته، وبعد ذلك مفهومه عن ذاته، ثم مفهومه عن الآخر،سواءا كان هذا الآخر: الأنا، ال نحن)، ال "هو" وال "هم" كل ذلك ينتمي من إلى جوهر واحد ينطلق من منطلق واحد ألا وهو: الهوية والذاتية، سواء كان هذا على مستوى فردي، شخصي، أو مستوى جماعي اجتماعي، وعلى ذلك فان تحليل "الأنا" عبارة عن مدخل مناسب للتحليل " نحن"، وتحديد " الأنا" وال "نحن" مسألة ضرورية لتحديد ال "هو" وال " هم" ، من أجل إدراك أفضل للإمكانات والقدرات".

(1)تركي أحمد: الثقافة العربية في عصر العولمة، مكتبة النرجس، دار الساقي، ط3، 2000، ص193.

ج- آخر الآخر (هم):

إن تبعيتنا للمجتمع بغير حاجة إلى برهان، ولكن تعويل الإنسان على الآخرين دوما ليس ايجابيا بالإطلاق ذلك أن له أحيانا علاقات سلبية معهم، وتبعيات سلبية ليس لهم، ويمكن أن تكون لهم أعداء من بين الأشخاص الآخرين، أوأن تكون لنا أشخاص نتصور أنهم أعداء على الصعيد الجماعي، لأن الانتماء القوي والشامل لنا (نحن) أي (هم)، ولهذا فان تقسيمنا للآخرين بين من ينتمون إلى (نحن)، ومن ينتمون الى (هم) قد يكون قديما قدم الإنسانية.

وقد اعتبر "جان فارو"(John Farraw)[1] أن (الأنا) الذي لا يوجد الآخر بدونه هواختراع تاريخي متأخر نسبيا، لارتباطه باكتشاف الوعي بالذات، قبل ذلك كان هناك آخر (نحن)، وكان الإنسان ينظر إليه من داخل القبيلة أو المجتمع فيما بعد، والتي كانت تمثل محيط وعيه للآخر"، إن الحدود بين الذات والآخر(نحن) قد تشكلت تاريخيا وجغرافيا بفعل عوامل موضوعية خارجية، ولكن الحدود بين الذات والآخر (هم) تشكل ذاتيا ونفسا بفعل عوامل سياسية، إعلامية. بصورة ليست ثابتة، وتتكون عاطفيا، تظل قابلة للتمدد والانكماش"[2]، لهذا يتطلب البحث عن مساحة لفهم الآخروتقدير مساحة الاختلاف معه.

د-الآخر (نحن) وتكوين الهوية:

تبدوالحاجة الإنسانية إلى الكشف عن الهوية عبر الاحتكاك بالآخر قديمة ومتشعبة التعبير لكن ما يجمعها هوسلبياتها يقول:" ادوارد سعيد عن أكثر العلاقات تجسيدا للأخر، أن أزمة الهوية لا تظهر إلا في المجتمعات التي تدخل في ديناميكية الحد.عبر المجتمع الذي يعيش

---

(1)جان فاروjohn farraw:ولد 1904/2/10.وتوفي1963/09/27في سيدني.مخرج امريكي.اعماله :حول العالم في 80يوما-https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D9%88%D9%86

21 . D9%81%D8%A7%D8%B1%D9%88.5/52021

(2) الطاهر لبيب: صورة الانا والآخر ناظرا ومنظورا اليه,ص:545

3)المرجع نفسه: ص21.

فيه الفرد عن التفاعل الاجتماعي بينه وبين البيئة المحيطة به، يكون الفرد في بداية ذاته، وبعد ذلك مفهومه عن ذات3"، ثم مفهومه عن الآخر سواء أكان هذا الآخر هو(أنت) أو (نحن) أو (هم)، وعليه فالذات هي نتاج اجتماعي، وعمليةالتفاعل الاجتماعي بين الأفراد ليست بالعملية البسيطة، فهي على درجة عالية من التعقيد لكثرة المتغيرات التي تؤثر في جميع مراحلها ابتداءا من الفرار للدخول طرفا في عملية ما.

" وتتلقى بعض المتغيرات التي تؤثر في عملية التفاعل الاجتماعي بخصائص الأفراد المعنيين بالأمر يتعلق بعضها بالبيئة المحيطة التي أطراف عملية التفاعل الاجتماعي للآخرين فالآخر في حضور دائم عند الذات" [1]، وبذلك يتبين أن الأشخاص المحققين لذاتهم أكثر تقبلا للذات وللآخرين، وأكثر تحملا لزلات البشر، وتنتج العلاقات الايجابية بين الذات والآخر تقبل للذات على أساس ما يتضمنه ذلك من تكيف مع الآخر، مما يولد شعورا لدى الفرد بأنه كلما زاد تقدير الفرد لذاته ايجابيا زاد توافقه الشخصي للآخر، وللآخر إنما يرتد إلى نمط علاقة الفرد بالآخرين، وهذا يرتد في نهاية الأمر إلى ما نطلق عليه هوية الذات أو هوية الأنا ومن الثبات إنما هي نتاج عمليات التوحد بالآخرين" [2]

هـ- آخر الآخر (هم):

إن تبعيتنا للمجتمع يغير حاجة إلى برهان، ولكن تعويل الإنسان على الآخرين دوما ليس ايجابيا بالإطلاق ذلك أن له أحيانا علاقات سلبية معهم، يمكن أن يكون لنا أعداء من بين الأشخاص الآخرين، ويمكن كذلك للمجموعات التي تنتمي إليها أن يكون لها أعداء الصعيد الجماعي، " لأن الانتماء قوي وشامل لنا(نحن)، يفترض بشكل ما تحديد نوع العلاقة مع غير ال (نحن)، أي (هم)،ولهذا فان تقسيمنا للآخرين بين من ينتمون إلى (نحن) ومن ينتمون إلى (هم) قد يكون قديما قدم الإنسانية، وتعتبر "أندر ينكوفا" إن الشروط الأو لية

(1)سيغوردن سيكرباك صورة الآخرين: المخأو ف الحقيقية والكاذبة في العلاقات (العربية-الأو روبية), ص595

(2)الطاهر لبيب:صورة الآخر ناظرا ومنظورا اليه.ص53

لبناء وحدة اجتماعية هوإنشاء صورة الآخر، فبفضلها تتحقق نزعة الفرد إلى خلق انشطار بين (نحن) و(هم) قد يكون للآخر أولوية أكبر على الأنا". [1]

هكذا يتبين بان الآخر يسهم بدور هام في فهمنا لمعتقداتنا وقيمنا وللدين والفلسفة وهويتنا، ة بالتالي فان الذات الجمعية نحن تعتبر وحدة جمع لا فصل فيها بين فاعل وموضوع، وربما أن طبيعة الحضارة الجمعية أو القومية هي تعبير عن الوعي بالذات من خلال اللغة، هوالذي عبر عن ذاته في إيجاد الأنا الجمع.

و- آخر الآخر هم الصديق أو العدو:

يوجد صورتان لآخر الآخر (هم) صورة سلبية، عندما يكون الآخر هوالآخر العدو،وصورة الايجابية عندما يكون هذا الآخر بمثابة صديق يجب التعرف والتعامل معه، حيث يعتبر "أو فير زور"(Ofer Zur) بأنه يمكن التمييز بين نمطين من أنماط العدو، الجدير والشرير، فالعدوالجدير هوشريك مساوء لحرب مرتبطة بمباراة ودية كلعبة كرة القدم، وهذا الوضع لا يحظى به أبدا العدوالشرير الذي يعتبر مختلفا عنه في الأساس.

ولهذا يمكن أن تكون العلاقة دائمة مفعمة بالود والاحترام المتبادل وإما تقوم على قاعدة الكره والعداء، لهذا الآخر (هم)، كما هوالحال بالنسبة للعدووالصهيوني.

ويرى" شارفان "أن الآخروالعدويمثلان الحقيقة بالنسبة للشخص الذي يتحدث عنها، ويتبع العنف من السعي نحوالخير، إلا أنه ليس هناك حقيقة مطلقة أو موضوعية فالحقيقة تحددها التقاليد المتداولة جيل بعد جيل، هذه التقاليد هي مصدر العدووالآخروالتقليد الشائع يميل لأن يكون الغير هوالعدو.[2]

(1)المرجع السابق، ص21.

(2)المرجع السابق: ن ص.

ومن خلال ما سبق في هذا القسم يتبين بأنه يوجد ارتباط وتلازم بين مفهوم الذات ومفهوم الآخرويدرك من خلال هذا التصور الذي يتبلور لدى الفرد من خلال التفاعل بينه وبين البيئة المحيطة به،ومفهوم الآخر أبعاد وأنواع هي الآخر المفرد الحميم (أنت)، ويمثلها الوالدين، والآخر الجمعي بشقيه، وهوالآخر القريب (نحن) المجتمع الذي يعيش فيه الفرد، أو الآخر البعيد (هم) الذي يمثله الاحتلال

4- الآخر في الفلسفة:

لقد اهتم الكثير من علماء النفس والفلاسفة بدراسة الإنسان وشخصيته حيث ترجع الدراسات الأو لى التي اهتمت بهذا المصطلح إلى العصر اليوناني فقد شغلت الذات الإنسانية بما فيها من غموض وتنوع عددا من المفكرين والفلاسفة[1]،" مصطلح الآخر في بدايته عند اليونانيين كان يعني كل ما ينتمي إلى هذه البيئة أو هولفظ يطلق على غير اليوناني سواء كانوا في الشمال أو في العمق الأوروبي أو في قارتي إفريقيا وآسيا بهدف التمييز بين اليوناني المتحضر وغيره المتخلف".

وقد استخدم "أرسطو" (Aristotle)[*] " اللغة باعتبارها أهم عناصر الهوية اليونانية، فأطلق لقب بربري على كل من لا يتكلم اللغة اليونانية ويمكن استبعاده إذا وقع أسيرا، وبهذه تم تحديد هوية" الأنا" وربطها بالعصر اليوناني و"الآخر" من هوخارج الدائرة اليونانية.

(1)صورة الأنا والآخر في شعر فكتورهيجو: الموقع الالكتروني: https:// manifest.univ-ourgla.dz.21/03/2021.18 :21 :08

(*) أرسطو Aristotla: فيلسوف يوناني وتلميذ أفلاطون ومعلم الاسكندر الأكبر، ولد سنة 384، وتوفي عام 7 مارس 322 قبل الميلاد. مؤسس مدرسة ليسيوم ومدرسة الفلسفة المشائية والتقاليد الأرسطية، وواحد من عظماء المفكرين أعماله السياسية، ميتافيزيقيا، فن الشعر..

https://ar.m.wikipidia.org/wiki/%d8%a3%d8%b1%d8%b7%d9%88 07/05/2021, 00:01:08

أما في الفلسفة المعاصرة، فقد شاع هذا المصطلح كثيرا خاصة عند الفلاسفة الفرنسيين أمثال:" جان بول سارتر"(*) (Jean paul sarter)، و(ميشيل فوكو"Michel) Foucauit)(**) ، و "جاك لاكان"(Jacques Lacan)،

و "ايمانويل ليفيناس"(***)(Emmanuel Levinas)(****)وغيرهم.

" ولعل سمة " الآخر" المائزة في تجسيده ليس فقط كل ما هوغريب (غير مألوف) أو ما هو(غيري) بالنسبة للذات أو الثقافة ككل، بل أيضا كل ما يهدد الوحدة والصفاء، وبهذه الخصائص.

أما مفهوم الغيرية هذا إلى فضاءات مختلفة تمثل التحليل النفسي والفلسفة الوجودية والظاهراتية"(1)

(*) جان بول سارتر: فيلسوف وناقد وكاتب فرنسي، ولد سنة 1905، وتوفي سنة 1980، من أعماله الكلمات، العصر واللأو جود

الأستاذ روني ايني الفا: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ج 1، ص 531.

(**) ميشيل فوكوmicheal foucault: مفكر فيلسوف فرنسي، ولد سنة 15.10.1926، توفي سنة 25.12.1984، له العديد من المؤلفات أهمها: تاريخ الحنون، المراقبة والعقاب ..... تاريخ الحياة الجنسية.

https://m.marifa.org/%d9%85%d9%8a%d8%b4%d9%8a%d9%84-%d9%81%d9%88%d9%83%d9%88/ 07/05/2021, 00:02:09

(***) جاك لاكان jacques marie émile lacane: محلل نفسي فرنسي ولد في باريس، سنة 1901، وتوفي سنة 1981 مهنته طبيب نفسي، اشتهر بقراءته التفسيرية لسيغموند فرويد ومساهمته بالتحليل النفسي الفرويدي.....احدث تغيير عميق في مفاهيم التحليل النفسي ومناهجه.

http://hekmah.org//.d9%8%d8%a7%d9%83%d8%a7%d9%86/ 07/05/2021; 00:04:15

(****) ايمانويل ليفيناس ولد عام 12 جانفي 1906 وتوفي يوم 25 ديسمبر 1995، فيلسوف فرنسي يهودي، مؤلفاته الكلية و اللاتناهي

https://www.ibeliveinxi.com/?p=94560, 07/05/2021 , 00 :20 :33

(1)ميجان الرولي, د سعد البازغي: دليل الناقد الأدبي، (إضاءة لأكثر من تسعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا)، المركز الثقافي للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط5، 2007، ص21.

فالآخر بالنسبة إلى "سارتر" شأنه في ذلك شأن "لاكان"، عامل فعال في تكوين الذات إذ:" يرى ساتر أن وعي الذات الوجودي يكون بناء على الطرف،بل ينطوي على أعداء يدمر إنسانيتين لأنه يربط الكينونة بطريقة جبرية وغير مستقلة بين لفظتي "ماكان" وما سيأتي "فهذا الوضع يجعل الكينونة تصرف بطريقة جبرية بسبب الآخر الذي يمنع تماما حرية الإختيار، لذلك اختتم ساتر مسرحيته "لا مخرج" بمقولته المشهورة "الآخرون هم الجحيم". [1]

فلقد ربط ساتر بين الآخروالجحيم إذ جعل الأمر بالنسبة لنا هوالجحيم، أما عند" فوكو"فان الآخر "متعلق بالذات تعلق لا فكاك منه، شانه في ذلك شان ارتباط الحياة بالموت، فالآخر بالنسبة إلى "فوكو" هو"الهأو ية" أو الفضاء المحدود الذي يتشكل فيه الخطاب" [2]

وكما يرى فوكوفان الآخر هوالموت بالنسبة للجسد الإنساني.

"إن الآخر عند" فوكو"هو"اللامفكر" فيه في الفكر نفسه، أو هوالهامشي ستبعده المركز، أو هوالماضي الذي يقصيه الحاضر دون الماضي ولا نعرف الذات دون الآخر، أما على مستوى الخطاب، فالآخر هومعالم الانقطاع والفصل الذي يحأول التاريخ استبعادها ليؤكد استمراريته". [3]

أما الآخر عند "مارتن هايدغر"[(*)](Marten Heiddegerفهومرتبط بالسقوط، وهذا الآخر قد رمى به في هذا العالم إلا أنه لا يملك سوى التسليم به، وهذا السقوط قد يؤخذ على معنيين احدهما ايجابي والآخر سلبي أما كونه ايجابي فالأن " يعتبره ما كان يمكن وجودي لنفسه ولولاه لظل

(1) (ينظر)، ميجان الرولي .د سعد البازغي :دليل الناقد الأدبي، ص 22.

(2)نفسه : ص 22.

(3)(ينظر) نفسه: ن ص.

(*) مارتن هايدغر: ولد بألمانيا سنة 1889م، وتوفي سنة 1976م، من أهم أعماله: الوجود والزمان، المفاهيم الأساسية في
الميتافيزيقا.
https://www.ektab.com/%D9%85%D8%A7%D8%A7%D8%B1%AA%D9%D8%B1/.21/04/20
21 .14 :21 :09

وجودي في إمكانات الوجود لا نهاية لها، أي أن سقوطي هوالذي جددني وبتجديدي تحقق وجودي الغيبي" [1]

فهيدغر يعني كينونته بالسقوط هنا تواجده في هذا العالم مع الآخر الذي أدى إلى تحقيق كينونته ومعرفتها التي لم تتم بمعزل عن معرفة الآخر "فالآخر يدخل عنصرا مقوما في صميم وجود الأنا وماهيتها، والأنا بذلك لا تكون إلا من خلال توقفها على الآخرواستقلالها عنه في وقت واحد " [2]

الا أن ذلك الوجود وهووجود مع الآخر الذي قد يقلل من فرصتها في ممارسة حياتها كما قد يحصر دائرة تميزها الفردي ومن ثم يفهم السقوط من جانبه السلبي، فاذا كان الآخر ضرورة حتمية، فانه في الوقت ذاته يمثل الخطر الذي يهددني، " بل الموت مستور الامكانات" [3]

على اعتبار من شأن حريته أن تحد من درجة حريتنا إلا أنه لا مناص " من الوجود من الناس" [4]

كما يرى " جان بول سارتر"(1905م– 1980م) (Jean paul Sarter)، أما الآخر عند "لالاند اندري"(André Lalande)، فقد عبر عنه في موسوعته بعدة كلمات منها: المختلف والغير بحيث يراه من المفاهيم التي يصعب إيجاد تعريف جامع مانع محدد لها، إذ يقول " هوأحد مفاهيم الفكر الأساسية، ومن ثم يمتنع تعريفه فهونقيض الذات ويقال على كلمات شتى "مختلف" أو حول رؤية ذاتية مميز" [5]

---

(1) مارتن هايدغر Heidegger Martin:فيلسوف ألماني ولد جنوب ألمانيا عام 26.5.1976، أهم مؤلفاته الوجود والزمنe/https://www.argeek.com, 7/5/2021. 01: 39: 00

(2)محمود رجب; المرأة والفلسفة، حوليات كلية الآداب، الحولية الثانية، جامعة الكويت، د ط، 1981، ص7.

(3)جان بول سارتر: الوجود والعدم، ت عبد الرحمان بدوي، لبنان، ط3، د ت، ص3.

(4)المرجع نفسه: ص3.

(5)اندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ص 124–125.

نفهم من هذا القول إن الآخر يمثل مفهوم أساسي للفكر بحيث يمكن للأنا أن تعرف ذاتها وتدرك وجودها من خلاله.

من خلال ما سبق نستنتج أن مفهوم الآخر يتحدد حسب الذات مما يجعل الآخر مختلفة عنها ولهذا لا يمكن أن نحدد "الآخر" في سورة واحدة، فهوفقط يختلف عن "الأنا" وأن الذات والآخر مرتبطان لا يمكن فصلهما، متلازمان رغم طبيعة العلاقة التي تجمعهما (انفصال/تواصل/ ...) ، وأن أي استبعاد لواحد منها يعني موت أحدهما.

5-الآخر من منظور علم النفس:

لقد اهتم كثير من علماء النفس والفلاسفة بدراسة الإنسان وشخصيته، والقضايا المتصلة بالذات، ومفهوم الآخر، وكانت أعمال " وليم جيمس"(William James) ، هي الأولى في هذا المجال حيث أسس في نهاية القرن التاسع عشر أو ل نظرية سيكولوجية"للذات" ثم طور"جيمس مارك بالدوين"(J. M. Baldwin)"[*]، " رؤية تفاعلية اهتمت بعلاقة الذات بالآخر"[1]، وهكذا لا يمكن أن تكون هناك "أنا" دون "الآخر" فكلاهما مرآة الآخريبدوأن "الآخر" قد يكون هو"الأنا"، أي أن كل ما ينفيه من تعريفات للأنا من شانها أن تنسب للآخر أيضا حين تأخذ "الأنا" محل "الآخر" "فالآخر" في منظور علم النفس هو"عبارة عن مركب من السمات الاجتماعية والنفسية والفكرية والسلوكية التي ينسبها فرد أو جماعة ما – إلى الآخرين". [2]

(*) جيمس مارك بالدوين:فيلسوف أمريكي وأخصائي في علم النفس , ولد عام 1861وتوفي1934.له عدة مساهمات في بدايات علم النفس وطب والتطور https://ar.wikivevo.com/James_Mark_Balddwin
13:19;14.07/07/2021

(1)خضر عباس، الأنا والآخر. بين الفلسفة والسيكولوجيا، الموقع الالكتروني
https://www.google/ampe/s/com..... wordpress.com

(2) عمروعبد العلي علام، الأنا والآخر (الشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر)، ص 12.

حيث يرى "جاك لاكان"(Jacques Lacan)"،" أن المرء لا يتشكل كفرد دون علاقة تربطه بالآخر، فالطفل حين يرى صورا في المرأة فانه لا يزال يستبدل صورة الآخر هذه بنوع من "الأنا"، ولكنه تدريجيا يدرك أن الصورة مكملةلصورة خارجية بالنسبة للذات، ومن هنا يصبح معا فردا مدركا ومادة يدركها ...وتتحول الصورة إلى علاقة للأنا وهذه على مرحلة نظام المز (صورة في المرأة رمز أو علامة أو دال يشير إلى الأنا) . [1]

وبهذا فان كل تعريف يطلق على "الأنا" يمكن له أن يطلق على الآخر بشرط أن ترتبط الأنا بعلاقة اختلاف مع أنا أخرى سواء في الجنس أو العمر أو العرق أو الفكر، أو في الثقافة أو الدين، أو في الانتماء أو اللغة تتكون هذه الأخيرة من الآخر.

فمفهوم الآخر إذن يتعارض مع الأنا أو الذات و، بل يتضمن معنى المباين والمغاير للنفس والشخصية، حيث يقول الدكتور شاكر عبد الحميد: " أن الآخر" قد يكون احد الأفراد وقد يكون جماعة من الجماعات أو أمة من الأمم، "فالآخر" قد يكون قريبا وقد يكون بعيدا،وقد يكون[2] صديقا وقد يكون عدوا, وقد يكون عدوا نفكر في أنسب الوسائل للتعامل معه" وهناك من علماء النفس من يفرق بين "الأنا والذات" " فيونغ)" (k.yيراهما مركبين مستقلين، بل ويزيد من الهوة الفاصلة لتصبح المسافة التي تفصلهما "كالمسافة مثل ما بين الشمس والأرض... الذات يمكن أن تعني ما يماثل تعويضا عن الاصطدام بين الخصائص الشخصية والمألوفات المجتمعية نجده في الاشتباك الواقع بين العالم الداخلي والعالم الخارجي" [3]

(1)ميجان الرواليد سعد البارغي: الدليل الناقد الادبي , ص231.

[2](2)عمر عبد العلى علام: المرجع السابق، ص12.

(3)ماري مادلين دافي: معرفة الذات، ترجمة نسين نصر، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط3، 1989، ص 148-150.

ومن خلال التعريفات السابقة يمكن القول أن "الآخر" مكملا "للأنا" ومرتبطا بها، فالأنا عندما يكشف عن وجوده إنما يكشف في نفس الوقت عن وجود الآخر.

6-الآخر من منظور علم الاجتماع:

لقد دل الواقع الراهن على اختلاف "الإخوة- الأعداء" في القضايا الفكرية والإيديولوجية قد يكون أكثر شراسة ودموية، فنحن نرى كيف دخل أفراد الوطن الواحد في صراع تناحري يكاد يفوق عداءهم للاستعمار الأجنبي ويصل درجة الحرب الأهلية غير المعلنة. فالآخر ليس بالضرورة هوالبعيد جغرافيا أو صاحب العداء التاريخي أو التنافس دائم، إذ يمكن للذات أن تنقسم على نفسها ويحارب بعضها البعض الآخر.

فقد توصلت "الماركسية" قبل ذلك إلى الصراع الطبقي في المجتمع الواحد وقد سمعنا عن المدينتين أو المجتمعين داخل المدينة أو المجتمع الواحد بسبب اختلاف نمط ومستوى المعيشة والسلوك. [1]

ويؤكد "منشينغ"(Mensching") أن الفرد " لا وجود له إلا من خلال جماعة".

وعلى هذا الأساس لا يحق للإنسان الذي لا ينتمي إلى الجماعة الأسرية أن تشارك في أي عمل من الأعمال الموقوفة على الأعضاء. [2]

ومعنى هذا التواجد لا يعني بالضرورة التجمع مع أي جماعة أو أي فرد آخر.

حيث لا يمكن إقامة هذا التجمع إلا بمن يرتبط معهم بأهداف ومفاهيم مشتركة في جماعة واحدة يتوافق معها في معاييرها وقيمها وأنماطها وسلوكها.

(1)حيدر إبراهيم على: صورة الآخر المختلفة فكريا، سوسيولوجية الاختلاف والتعصب نقلا عن الطاهر لبيب، صورة الآخر ناظرا ومنظور إليه، ص 111.

(2)المرجع نفسه، ص 114.

وقد أسهم كل من " تشارلوزكولي " [*](Charlesh .Cooley)و" جورج هربت ميد"[*](G. H .Mead .)" في تأسيس النظرة الاجتماعية لمفهوم الأنا ومفهوم الآخر.

فذهب "كولى" إلى أن الذات (أو الأنا) هي مركز شخصيتنا، وإنها لا تنموولا تفصح عن قدرتها إلا من خلال البيئة الاجتماعية، وأنا الشعور بالأنا لدينا لا يبرز دون أن نكون مصحوبا بذوات الآخرين". [1]

وثمة مفهومان مهمان في أعمال كولي، أو لهما مفهوم "الذات المرآة "Looking– glass" Self" ويشير إلى تخيلنا لما نبدوعليه في نظر الآخرين، وتخيلنا لحكم الآخرين علينا، وهذه التخيلات، يترتب عليها شعور معين لدينا يحدد معظم تصرفاتنا في مختلف المواقف.

والمفهوم الثاني هو"النحن We" أو الذات الجماعية "Group Self"" ويشير الى صيغة معينة للانا تتحقق في حالة وجود جماعة تضم في عضويتها عددا من الأفراد يشعرون بالتعاون في ما بينهم وباختلافهم عن – أو تعارضهم مع – جماعات أخرى. [2]

أما ميد فقد قام بمعالجات موسعة لفكرة الذات الجماعية، وهويرى أن الذات لدى أي فرد تتطور كنتيجة لعلاقة هذا الفرد بالعمليات والنشاطات والخبرات الاجتماعية من جهة، وبالأفراد الآخرين من جهة أخرى. [3]

(*) تشارلز كولي : (charles cooley)، ولد عام 17.2.1929، أن أربور ميشيغان الولايات المتحدة، عام اجتماع واقتصادي، 39: 54: 00. 7/5/2021 https:// ar.kcugenii.com/wiki/charles-cooley

(**)جورج هربت ميد (george herbt mead)ولد عام 27.2.1863 وتوفي سنة 26.4.1931.، فيلسوف أمريكي، عالم اجتماع، عالم نفس بجامعة شيكاغو https://Mimibook.com

/ar/9c99e71214e.7/5/2021.00 :57 :03.

(1)فتحي أبوالعينين: صورة الذات وصورة الآخر في الخطاب الروائي العربي، نقلا عن الطاهر لبيب، صورة الآخر ناظرا ومنظور إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999، ص812.

(2)فتحي أبوالعينين: المرجع نفسه ،ص 812.

(3)االمرجع السابق :ص812.

إن العلاقة الاجتماعية بين الأنا والآخر لا ترسى قواعدها إلا عن طريق استيعاب الذات التي " تتحقق ضمنيا من خلال التعامل مع الآخرين ومحاولة فهمهم. [1]

وهكذا نخلص إلى أن الآخر إذا كان ضرورة حتمية تفرض وجودها على الأنا فان الأمر يقتضي الشعور به والتفاعل معه واستيعابه.

7-الآخر من المنظور القرآني:

وردت لفظة الآخر في القران الكريم " بفتح الخاء خمس عشر مناسبة بصيغة المفرد نحوقوله تعالى: " لا تجعل مع الله الها آخر، فتقعد مذموما مخذولا" الإسراء الآية 22.

وكذا قوله تعالى: " وَأَمَّا الآخر فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ"سورة يوسف الآية 41.

ووردت بصيغة الجمع في اثنتين وعشر مناسبة، منها خمس مرات مرفوعة والباقي في حال النصب وجر نحوقوله :" إن هذا إلا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون".الفرقان الآية 04.

وقوله تعالى :" ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخرينَ".سورة النمل الآية (20) [2].

- ووردت كدلك شخصان يجمعهما مكان واحد كصاحبي "يوسف" في السجن فمن تحدث معه يوسف أو لا اعتبر الأول في حين اعتبر الثاني بالآخر، قال عز وجل: "وقال الآخر إني أراني احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه". يوسف الآية 36.
- أخوان احدهما صالح والآخر صالح، وفجل كل منهما بالآخر كنموذج "قابيل وهابيل" قال الله عز وجل :" واتل عليهم نبأ ابني ادم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين". المائدة29. [3]

(1)سماح خالد زهران: كيف تفهم نفسك وتفهم الآخر؟، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 2004،ص:27.

(2) سعد سامي محمد: الأنا والآخر في المعلقات العشر، رسالة ماجستير، إشراف: جنان محمد عبد الجليل، قسم اللغة العربية وآدابها،جامعة البصرة، العراق، 2012، ص3.

(3)ينظر: السيد عمر: "الأنا والآخر من منظور فراني"، ص 159.

ومنذ البدء عبر القرآن الكريم والأحاديث النبوية على نظرة متسامحة تجاه الآخر بصورة عامة، وذلك بناء على التصور الإسلامي للإنسان بوصفه أفضل المخلوقات وأكرمها، فالله سبحانه وتعالى، بحسب التصور القرآني، قد كرم الإنسان بوصفه إنسانا دون تحديد بدرجة التحضر أو لون أو لغة أو دين لقوله تعالى:" وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا". سورة الإسراء الآية 70.

ومن هنا كان الإسلام ملتزما بمثل الإخاء الإنساني ومبادئ العدل والمساواة والحرية، واحترام حرمة الشخص البشري مهما كانت لغته ولونه ودرجة تحضره وجنسه وعرقه.

ومن أقوال الإمام "علي بن أبي طالب" في كتابه الى "مالك الأشتر" حين ولاه على مصر: أنهم(الناس) صنفان إما أخ لك في الدين، وإما أخ لك في الخلق.

فبهذا الاختلاف، كما يقول المفسرون وقع التعارف، ولواتفقت ألسنة البشر وتشاكلت ألوانهم وأجناسهم لوقع الالتباس. (1)

فالإسلام يقر مبدأ الإختلاف بين الناس، فهنالك المؤمن، الكافر، المسلم، المسيحي، اليهودي، العلماني، العالم، الجاهل، الغني، الفقير...فإسلامنا دين حق لقوله تعالى: " ان الدين عند الله الإسلام " . (*)، يقول" محمد الغزالي"وهويتحدث عن الإسلام والمسيحية فلسنا بمرغمي أحد علي طرح ما يعتقده، ولا يجوز أن نلجأ إلى إكراه مادي أو أدبي لتحرير أتباع دين عن دينهم. (2)

فالدعوة في الإسلام إذن ليست من باب فرض القوة والهيمنة، وإنما دافعها الحب لهذا الآخروالإشفاق عليه والتسامح معه.

---

(1)نادر كاظم: تمثيلات الآخر، صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط1، 2004، ص117.

(*) آل عمران الآية19.

(2)محمد الغزالي : معركة المصحف في العالم الإسلامي، م س، ص 36.

8-الآخر في الشعر:

تتجدد صور الآخر حيث ترتبط صوره بسمات اجتماعية ونفسية وفكرية والسلوك الإنساني كاللغة، العرق، الحضارة، الدين، تلك التي ينسبها شخص ما إلى الآخرين الذين هم خارج هذا المجال، " وقد تنشطر الذات ال "الأنا" و" النحن" وتتحول "النحن" إلى آخر كما في حالة الذين يشعرون بالانتماء أمثال الشعراء الصعاليك، ومن الممكن أن تنعدم "الأنا" في "النحن" لتكون معا ذاتا واحدة في مجابهة الآخر" [1]

ومنه نستطيع أن نفهم أن الآخر هوفي الوقت نفسه المماثل والمباين لنا، مماثل بسماته الإنسانية أو الثقافية المشتركة، والمباين بخصائصه الفردية أو فروقه العرقية.

" فنحن نتردد في التعاطف والخوف، لا ندري إن كان يظهر لنا صديقا أو عدوا، ففي حالة الصداقة تتبادل معه حركات مجاملة، أما في حالة العداوة فإننا نتأهب للدفاع أو الهجوم". [2]

ويمكن القول أن الشعراء كان لهم النصيب الأكبر في صراعهم مع الآخر، ولهم النصيب الأكبر في خلق ثنائيتهمالضدية معه من بينهم، المتنبي، ابن دراج القسطليوغيرهم.

9- الآخر في المنظور العربي:

والآخر الحضاري أيضا، ليس عنوانا هلاميا، وإنما مجموع القيم والمبادئ الأساسية التي جاء بها الغرب الحضاري، إضافة إلى التجربة التاريخية التي قامت بها شعوب العالم العربي عموما، ما انطلاقا من تلك القيم، عملا باتجاه انزالها في الواقع الخارجي. [3]

---

(1)فهيمة غطاس: صورة الأنا والآخر في عمريات ابن دراج القسطلي مجلة الأثر، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، العدد 23، ديسمبر 2015، ص3.

(2)المرجع السابق : ص3.

(3)جريدة الرياض: إشكالية الأنا والآخر في الفكر العربي المعاصر، الموقع الالكتروني،

00;12:24.21/05/2021.https://www.alriyadh.com

يرى" حسن حنفي" أن كتاب "رفاعة الطهطاوي" هوبحث في الآخر، ورأى أيضا أن الغاية إذا ليست وصف الآخر، بل قراءة الأنا في مرآة الآخر فليست الغاية قراءة باريس في ذاتها، بل قراءة مصر في مرآة الآخر فليست الغاية قراءة باريس في ذاتها، بل قراءة مصر في مرآة أو روبا وليست الغاية الذهاب إلى باريس، بل العودة إلى مصر وليست الغاية التعلم بل الإفادة بالعلم .... [1]

لقد استنتج حنفي من تخليص الابريز أن : " الأنا إطار جغرافي للأخر، إذ لا توجد جغرافيا لباريس في ذاتها، بل بالمقارنة مع جغرافية الإسكندرية أو القاهرة التي يطلق الطهطاوي عليها اسم مصر، كما يحيل التوقيت في باريس الي توقيت القاهرة بعض معالمهم إلى معالم قاهرية، أما مارسيليا فتحيل إلى الإسكندرية قياسا للمجهول على المعلوم وللغائب على الحاضر، كما أن الأنا مرجع تاريخي للآخر، ذلك أن التاريخ هولوصف الأنا لا لوصف الآخر، وما الآخر إلا مناسبة لإظهار الأنا، حيث يصبح الأنا في مسار تاريخها الهجري".[2]

ويحاول"حنفي" أن يحدد مسافة "نقدية" بينه وبين الطهطاوي الذي رأى في كتابه انطباعات عالم أزهري وقع تحت تأثير الصدمة الحضارية واخذ عليه انبهاره بالغرب وإعجابه بتحدياته اذا" الغرب" عند الطهطاوي هو"المرآة المثالية التي تنعكس فيها عيوب الذات، فهوليس موضوعا للدراسة، بل هوالظهر الأسود للمرآة إلى لا تعكس شيئا".

ومن المعلوم أن الآخر هوالمختلف في الجنس أو الإنتماء الفكري أو العربي حيث "لا تتضح ملامح الهوية من دون لقاء مع الآخر، إذ أن الإبتعاد عنه يجعل من الذات بعدا واحدا،

(1)حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب التراث والتجديد، موقفنا من التراث العربي، القاهرة، الدار الفنية للنشر والتوزيع، 1991، ص191.

(2)الطاهر لبيب :الآخر في الثقافة العربية، ص292.

فيسرع إليها الجمود، في حين الإلتقاء معه يمنحها أبعاد مركبة". [1]، ومن هذا المنطلق فان" أي تطوير للذات في حاجة إلى لقاء مع الآخر المختلف يمكن الاستفادة من معارفه، وفي حين نواجه تتعرف على نقاط ضعفنا، فتدفع على تغييرها مثلما تتمسك بمزاياها". [2]

حيث يمثل "الغرب" فكرا وخبرة مضادة بالنسبة للشرق إذ أصبح حضوره في مشاريعنا المستقبلية حضورا مزدوجا، نحن نستحضره ككظم نخشاهوفي ذات الوقت كمثال ونموذج يفرض علينا الاقتداء به بشكل من الأشكال على الأقل في مجال العلم التكنولوجيا.

ومن خلال ما تقدم نلحظ أن الأديب العربي في محاولته لتصوير واقع الآخر، سواءا كان آخر دينيا عرقيا، فهويلجأ إلى مجموعة من المعطيات والقضايا التي ترسخت في ذهنه عن ذلك الطرف، ولتحقيقها على أرض الواقع، إذ نستند إلى الأجناس الأدبية التي تعمل بدوها على نقل ما كونه عن الآخر.

ثالثا-جدلية الأنا بالآخر:

من أهم الموضوعات التي شغلت عالم الفكر ومثلت محور ومدار اهتمام أكثر الدارسين جدلية الأنا والآخر، أو طبيعة المواجهة بين الحضارة العربية والإسلامية، وبين الحضارة الأوروبية والأمريكية، التي تعد من أعقد الثنائيات وأبرزها تشكلا في الخطاب الروائي، فهي تمثل بؤرة تكوينها ونضجها، هي ثنائية جسدت صراع بين الأنا (العربي المسلم) والآخر(الغربي المسيحي) إذ انطلقت من صورة غالب (قوي له كل القدرات) ومغلوب(ضعيف فقد هيبته)، فالتنافر بين "الأنا والآخر" قائم على أساس عقائدي تجعل من الإسلام عدوا تاريخيا وتقليديا للغرب، أضيف إلى ذلك وعلى مر التاريخ عوامل سياسية واقتصادية زادت في أثر هذا العامل الديني يتم اتهام الإسلام كطرف متعصب ومتطرف لكن الواقع يؤكد ان كلا الطرفين المسيحية والإسلام في صراع طويل ومستمر لعدة قرون يقول

(1)ينظر: ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، ص17.

(2)المرجع نفسه; ص18.

صامويل: " إن أسباب الصراع المتجددة بين الإسلام والغرب توجد في الأسئلة الأساسية للقوة والثقافة من الفاعل ومن المفعول به؟ من الذي يكون محكوما؟ القضية المركزية للسياسة كما حددها لبنين هي جذر الخلاف بين الإسلام (الشرق) والغرب (المسيحية) ..."[1]

معنى ذلك أن العلاقة بين الإسلام والمسيحية علاقة عدائية، نتج أن كلاهما.

ينظر إلى العالم نظرة ثنائية تعصبية، ضدية، نتيجة هذا الصراع يقوم على ناحية واحدة هي العقيدة بأن هناك دين واحد حقيقي على صواب، أما الآخر فهوباطل.

لقد تطرق "هيجل"[*] إلى مشكلة العلاقة بين الأنا والآخر، وقدم فيها طرحا مغايرا عن ذلك الذي عهدناه في فلسفات سابقة، أسس فلسفته انطلاقا من نقده "لديكارت والكوجيتوالذي يجعل الأنا محور الوجود وينفي دور الآخر، إذ يؤكد "هيجل " أن الوعي هوأساس وجود الذات والآخر، فالإنسان الوجودي، بظهور الوعي، والوجود إنساني وتحقيق الذات يرتبطان بنفسها وبالغير [2]'ومن خلال "نظريته في جدلية" العبد والسيد "يفترض وجود شخصين متقابلين احدهما أميرا أو سيدا، والآخر عبدا كل منهما يحمل ضمير مختلف عن الآخروهذان الوعيان يتصرفان تحت ما يسمى بالجدل.

كل منهما يحاول تحقيق هويته والانتصار على الآخر، وبالتالي وجود السيد يقترن بوجود العبد[3]، فهويصارعه وكذايحتاجه إليه ليخدمه، فهوالذي يطهي له طعامه ويفلح له أرضه وينتج له الآلات التي تحسن جودة المحاصيل، ويقاسمه وجوده من جهة أخرى والعكس

---

(1)صامويل هنتجون: صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، تر: طلعت الشايب، (دم)، ط2، 1999، ص342.

(*) جورج فيلهلم فريدريك هيجل : Georg-Wilhelm Fridrick Hegel: فيلسوف ألماني ولد 1770 وتوفي 18"& أعمال بارزة ظواهرية الروح.-https ;//www.arageek.com/bio/georg-wilhelm-friedrich hegel.21/05/2021.18 ;22 ;04

(2)فريديريك هيغل: فينومينولوجيا الروح، تر: ناجي العونلي، المنظمة العربية للترجمة،،ط1, بيروت،لبنان, ص159.

(3)لا فينمن سقراط الى سارتر: البحث الفلسفي، تر:أشرف محمد كيلاني، المركز القومي للترجمة، ط1, د ت ص259،258.

صحيح فالعبد يدرك ذاته ويحققها من خلال خدمة سيده، وعليه فالعلاقة بين "الأنا والآخر" لا تكون دائما سلبية قائمة على الكراهية والعدوانية، بل تكون علاقة ايجابية قائمة على الإخوة والصداقة والتعايش، كما نجد ذلك في رواية " نجمة أغسطس" للروائي المصري "صنع الله إبراهيم"(*)

حيث يرصد جدلية "الأنا والآخر"، وذلك عبر المقابلة بين الإنسان المصري والآخر الروسي، فالأول يهدده الفقر والداء والقمع، بينما يعيش الثاني في سعادة وغنى ونعيم، من جهة أخرى تصور لنا رواية " الحي اللاتيني لسهيل إدريس(*)"، العلاقة بين الشرق والغرب عبر تشغيل جدلية الذكورة"الشرق والأنوثة "الغرب" حيث تصبح المرأة هنا على المحك الأساسي لهذه العلاقة الثنائية، فبطل "الحي اللاتيني" هو: (الأنا) هو(الشرق)، بينما عشيقته "جانين مونتيرو" هي رمز (الآخر)(الغرب) لكن العلاقة بينهما تنتهي بالفراق والانفصال على الرغم من رباط الحب الصادق الذي كان يجمع بينهما، والسبب في ذلك أن (الشرق شرق) و(الغرب غرب) يعني إن البطل اللاتيني لم يستطع الانسلاخ عن شرقه وجذوره وما نشأ عليه من أعراف من تقاليد، هكذا يبدو هذا الاختلاف بمثابة صراع بين(القيم المادية) و(القيم الروحية) وصراع بين الأخلاق والإباحية وصراع بين الرجولة الشرقية والأنوثة الغربية"(1)، كما جاء في كتاب (فرانز فانون) جلد أسود وأقنعة بيض اهتماما خاصا لجدل العنف الجنسي المتبادل بين المستعمر والمستعمر، فالرجل الأبيض، بإغتصابه المرأة السوداء يشعر الزنجي بأنه رجل مخصي، والزنجي بإقامته علاقة جنسية طوعية أو غصبية مع المرأة

(*) صنع الله إبراهيم: ولد 1937 بالقاهرة روائي كاتب قصص قصيرة، من أعماله البارزة: شرف.- https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%81%D8%A9 %D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%8A%A9.25/05/2021. 13 :01 :45/

(*) سهيل إدريس: ولد 1925 ببيروت لبنان توفي 19-2-2008 القصة السورية د. سهيل syrian story.com . 6،01:57:35/5/2021

(1)جميل حمداوي: صورة الأنا والآخر في الخطاب الورائي العربي الموقع الالكتروني: https://WWW.almouthaqaf.com /Qadayaa ma-09/15803-2010-06-27-02-03-01.

البيضاء ينتقم من المستعمر ويثبت له انه رجل مثله، أما البطل البرجوازي الصغير نجيب محفوظ بداية ونهاية مشاعره إزاء فتاة نقية البشرة من طبقة أرستقراطية فيقول: هذه المرأة إذا ركبتها فقد ركبت طبقة بأسرها" (1)

إذ" نجد الناقدة "ماجدة حمود" تقول: قد تحول الهوية إلى نوع من التخريب والتعصب إلى الانطلاق على الذات ورفض الآخر، حتى إننا وجدنا من العرب من يرفض استخدام المناهج العلمية للغربيين بدعوى للحفاظ على الخصوصية" ناتج عن رفض العرب كل ما هوقادم من الغرب، واكتفوا بالمحافظة على ما يخصهم والدفاع عليه فقط.

وبذلك فان العلاقة بين الأنا والآخر بقدر ما هي علاقة جدلية إلا أنها عقلانية تواصلية، إذ لا يمكن إلغاء الآخرأو رفضه من منطلق احترام الآخروالاعتراف به قدر حتمي، قبلنا به أم لم نقبل، فاحترام الآخروالقبول به واجب فهوأول خطوة من خطوات التعايش بين طرفي الثنائية.

إلى جانب ذلك الرفض والعداء إلا أن هناك من يرى بأن العلاقة التي تجمع هاتين الثنائيتين هي علاقة مبنية تقوم على الصداقة والقبول والاتصال.

ذلك أن الشرق "الأنا" لم يكن في يوم من الأيام معزولا عن بقية أجزاء العالم خصوصا الغرب "الآخر" فالتاريخ يقودنا إلى الكثير من مظاهر التعامل بينهما، منذ أن شعر الإنسان بضرورة الإتصال بغيره من الشعوب" (2)

(1) جورج طرابيشي: شرق وغرب رجولة وأنوثة، دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية، دار الطلبة للطباعة والنشر،ط1،1977-1997 بيروت، لبنان، ص09.

(2)سالم معوش: صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص 10.

والجدير بالذكر أنه إذا كان "الأنا لا يتجدد إلا عبر الآخر سواء تعلق الأمر بالفرد والجماعة فان أي مشروع مستقبل يبنيه الإنسان لنفسه لا بد أن يأخذ فيه بعين الاعتبار بصورة واعية أو لا واعية فعل الآخر" [1]

أي أن "الأنا" لا يمكن أن تبني مستقبلها إلا في ظل وجود "الآخر" لما كان هناك تفكير في المستقبل.

وهذا التشابك العلائقي "يجعلنا نسلم بأن صورتنا عن ذاتنا لا تكون بمعزل عن صورة الآخر يعكس بمعنى ما صورة الذات" [2]

حيث يقترح "تودروف"(Todorov)[*]، تصنيفا للعلاقات مع الآخرين إذ يبنى هذا التصنيف على ثلاثة محاور، "أو لا حكم قيمة (على الصعيد الأخلاقي): الآخر جيد أو سيئ، أحبه أو لا أحبه، هناك ثانيا فعل التقرب أو الإبتعاد بالنسبة للآخر(على الصعيد العملي) أتقبل قيم الآخر، وخضوع الآخر، ويوجد تعبير ثابت الذي هوالحياد أو عدم الاهتمام، أتعرف إلى هوية، أو أتجاهلها (وهذا على الصعيد العملي البحثي).

ومن الواضح أنه لا يوجد هنا أي مطلق، ولكن يوجد تدرج بين حالات المعرفة البسيطة أو الأكثر عمقا". [3]

---

(1)محمد عابد الجابري: مسألة الهوية العروبة والإسلام .... الغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط4، 2012، ص89.

(2)الطاهر لبيب وآخرون: صورة الآخر ناظرا ومنظورا إليه، ص12.

(*) تودوروف ولد في 01 مارس 1939، من أعماله مبدأ الحوارية، الأمل والذاكرة، شاعرية النثر https;//portal.arid.my/ar-LY/Posts/Details/812e883c-5dd9-4e45-9084-0f7ea08c7fbd. 21/05/2021.22;15;05.

(3)تزفيتان تودوروف: فتح أمريكا، مسألة الآخر، تر: بشير السباعي، دار سينا للنشر، مصر، د ط, 1992، د ط،ص ص223.

ومما سبق يبدوأن "الأنا" غير قادرة على العيش من دون "الآخر" الذي يعرفها على ذاتها ويكملها "فالأنا" حسب (تودورف) هي من تكشف الآخرين في ذاتها فيقول "وبوسع المرء اكتشاف الآخرين في ذاته وإدراك أنه ليس جوهرا متجانسا وغريب بشكل جذري عن كل ما ليس هو: أنا آخر لكي الآخرين أيضا أنوات: أنهم ذوات شأنهم في ذلك شأني، لا تفصلهم ولا تميزهم بشكل حقيقي عن نفسي غير وجهة نظري، والتي بموجبها يعتبرون كلهم بعيدين، بينما أكون أنا وحدي هنا." (1)

وقد تجلت العلاقة بين الذات والآخر بصورة أو ضح في الرواية كونها "تعد من أقدر الفنون على تقديم تفاصيل الحياة بكل حقائقها وأو هامها، ما يتيح لنا دراسة إشكالية العلاقة بين الأنا والآخر فيها، فتستطيع أن تفتح أمام المتلقي طريق فهم الذات والآخر معا". (2)

حيث ترى "ماجدة حمودة" في كتابها "إشكالية الأنا والآخر" بأننا نستطيع حل إشكالية "الأنا" و"الآخر"، حين يرتقي بإنسانية الإنسان، فتبقى قيما حضارية أنجزتها الأمم جميعا، مما يؤسس لمد جسور التفاهم بين البشر بعيدا عن الهويات القائلة، إذ يحدث الانفتاح على العالم الخارجي، حيث يمكن أن نتلقى "الآخر" مثلنا يحدث الانفتاح على العالم الداخلي "الأنا" بفضل قيم إنسانية خالدة مثل ":الخير والحب والعدالة..... "فتزيل كل الشوائب التي تمزق العلاقات الإنسانية وتنشر الكراهية". (3)

رابعا- تجليات الأنا والآخر في الرواية العربية:

لقد قطعت الرواية العربية شوطا كبيرا في وعيها للآخر باعتبارها الجنس الأدبي الأقدر على التعبير عن العلاقات المعقدة للإنسان الحديث، سواء أكان ذلك على الصعيد الذات أم على صعيد فهم الآخروالعالم، وإستيعاب التحولات المتسارعة، فتحولت الرواية إلى

(1)المرجع السابق : ص9.

(2) ماجدة حمودة : إشكالية الأنا والآخر نمادج روائية عربية , ص 13.

(3)المرجع نفسه :ص 23.

مخبر للمخيال، تتعدد فيه الموضوعات مثل: (المنفى، الغرائبية ، الخوف من الآخر.....)، إذ تتحكم في هذه المسائل الجاهزة، والصور التقديرية عن الأنا والآخر. [1]

حيث لم تظهر روايات "الأنا" و"الآخر" في أدبنا العربي الحديث المعاصر، إلا في أو ساط القرن التاسع عشر، وذلك مع التغلغل الاستعماري في العالم العربي والإسلامي قصد التحكم فيه سياسيا واستغلاله "اقتصادياواجتماعياوثقافيا"، وإضعافه "عسكريا وإعلاميا".وتغريبه دينيا وحضاريا ... هنا طرحت إشكالية الشرق والغرب فكرا وإبداعا وتخييلا [2]

ذلك أن الرواية من أكثر الفنون قدرة على تجسيد إشكالية "الأنا والآخر" فتنطلق في نقد الذات والآخر معا، وإن كنا نلحظ هذا النوع من النقد يمارسه عادة المثقف الغربي مدين للنقد الذاتي الذي لا يتوقف(المثقف، المفكر، الأديب) عن ممارسته،حيث تعد الرواية من أقدر الفنون على تقديم تفاصيل الحياة بكل حقائقها وأو هامها، مما يتيح لنا دراسة إشكالية العلاقة بين "الأنا" و"الآخر" فيها إذ تستطيع أن تفتح أمام المتلقي طريق فهم الذات والآخر معا، فهي قادرة على نبش أعماقنا وتجسيد أفكارنا ومشاعرنا وأحلامنا، وطرح ما يعترضنا من إشكالات تعانيها "الأنا" في مواجهة الآخر. [3]

وقد اقترن الحديث عن " الآخر" في النص الروائي العربي ب "الآخر" الغربي إذ بدأ حضور "الآخر" الغربي مع تنامي مشهد النهضة الحديثة، وما صاحبه من تبلور للوعي القومي الذي أخذ في مسألة وتأويل معنى "الآخر" وكانت رواية "عودة الروح" لتوفيق الحكيم أو لرواية عربية تتعرض لمشكل لقاء الحضارات، وتليها عدد من الروايات من نحو" موسم الهجرة إلى

(1) سالم معوش ;صورة في الرواية العربية، .مؤسسةالرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت، لبنان ,ط1 ,1998 ,ص10

(2) جميل حمداوي: صورة جدلية الأنا والآخر في الرواية العربية، مقال في الإنترنيت.

(3)ماجدة حمودة: إشكالية الأنا والآخر، نماذج روائية عربية، سلسلة عالم المعرفة، العدد 398، الكويت، مارس 2013، ص(14-15).

الشمال" للطيب صالح، " الحي اللاتيني «لسهيل إدريس، وغيرها كثير، حيث خضعت هذه الروايات إلى مبدأ التجنيس الحضاري حيث "الآخر" العربي هوالأنثى الغربية". [1]

معنى هذا أن حضور"الآخر" الغربي بوصفه مؤثرا أدبيا وفكريا منذ بروز الرواية العربية قد أسهم في نشوئها، لذلك لم تتضح معالمها إلا بعد معايشة (الآخر الغربي) والاطلاع على إبداعه عن طريق التلقي المباشر عبربلغته عن طريق واسطة الترجمة[2]، أو الارتحال إليه كما حدث مع الكثير من المثقفين العرب، ومن هذه الروايات والتي أصبحت علامات فارقة في تاريخ الرواية العربية، نذكر الروائد الأوائل للنهضة الفكرية الأدبية ومن بينهم "رفاعة الطهطاوي" وكتابه "تلخيص الإبريز في تخليص باريز" (1834) وكتاب " علي مبارك" "علم الدين" عام (1883م) حيث عد هذا الأخير من طرف بعض الدارسين أو ل عمل روائي في التراث العربي الحديث حيث كان كل واحد منهما منشغل بالاستيعاب العقلي، وكانت صورة الغرب لديهما من الصورة الضخم المتفوق وكذلك الأمر ينطبق على رواية "المويلحي" "حديث عيسى ابن هشام"، فنظرة هؤلاء للغرب "الآخر" كانت قائمة على المنطق التصالحيوعلى عدم الشعور بالتعارض، غير ان هذه النظرة لم تستمر قمع دخول الوطن العربي في نطاق السيطرة الاستعمارية، بدأ التعارض بين "الأنا" و"الآخر" وهذا ما ظهر في روايات ما بين الحربين حيث اتسع خطابها لشخوص وعلاقات ومشاعر جديدة (حب، جنس، مثاقفة، .....)

لكنها ظلت تدور في نطاق ضيق هوحياة ومشاكل مؤلفيها وسيرهم الذاتية وعجزت عن التعبير عن الواقع، لأن أصحابها قد دخلوا في ازدواجية فهم الحضارة الغربية أيالتردد بين التعلم من أوروبا، ومناهضتها في نفس الوقت، وخير من جسد هذا التردد بوضوح هوبطل رواية "أديب" "لطه حسين" (1935م) انه يحب بلده وينفر من أحوالها المحزنة، ويحب فرنسا

(1)الطاهر لبيب وآخرون: صورة الآخر ناظرا ومنظورا اليه ، ص 36.

(2)ماجدة حمودة: المرجع السابق، ص 26-27.

من الفردية في الغرب, أي عكست وعيا متوترا مزدوجا، أما رواية "عصفور من الشرق" "لتوفيق الحكيم" (1938م) والتي تجسد فيها الصراع بين (المادية) حضارة الغرب و(روحانية) حضارة الشرق، ثم جاءت رواية "قنديل أم هشام" "ليحيى حقي" (1944م) التي صورت أزمة الإنسان العربي حين ينعزل عن جماعته، ويفقد الاستبصار بثقافة هذه الجماعة ويعجز عن فهم جوهرها، وبعد الحرب العالمية الثانية كانت الظروف المهيأة لنقلة جديدة في الرواية "الطيب صالح" موسم الهجرة إلى الشمال" في منتصف الستينات كانت تمهد الأرض لرؤى ومعالجات جديدة تطرح من خلال الرواية العربية خاصة بعد أعقاب هزيمة (1967م)، فأعطى جيل الستينات علامة فارقة في مجال الرواية العربية. (1)

لذلك التقى النقد الأدبي العربي برصيد هذه الروايات التي عنيت ببدايات هذا اللقاء الحضاري بين الشرق والعرب بالدراسة والتحليل والنقد.

حيث نجد الرواية العربية تمتاز منذ ظهورها في أواسط القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا بتجسيد ثنائية "الأنا والآخر" عبر مجموعة من الرؤى والأنماط والصور المتقابلة سوآءا أكانت سلبية أم ايجابية،تترجم ثنائية الشرق والغرب، وثنائية "الذكورة والأنوثة"وثنائية " التقدم والتخلف"وثنائية "المادة والروح "... ومن بين هذه الرؤى النمطية نذكر ما يلي: (2)

أ- الرؤية الإنبهارية:

ونعني بها تلك النظرة الأولى "الأنا" وهي تتأمل من منجزات "الآخر" المماثل أو المخالف ، تلك النظرة الحائرة القائمة على الاندهاش والتعجب والاستغراب، والإتقان بتقدمه وازدهاره في شتى العلوم والفنون والتقنيات والمعارف والآداب[...]وذلك بسبب "صدمة الحداثة" أو " صدمة الاستعمار" التي تبرز بشكل جلي التناقضات الهائلة والتباين الشاسع بين عقلية متخلفة وعقلية متقدمة، ومن النصوص الروائية العربية الأولى التي صورت جدلية

(1) ينظر: فتحي أبوالعينين: صورة الآخر ناظرا ومنظورا اليه ، ص 813-819.

(2) جميل حمداوي: صورة جدلية الأنا والآخر في الخطاب الروائي، مقال في الانترنيت.

"الأنا والآخر" من خلال رؤية انبهاريهاستعجابيهواستغرابيه، نستحضر رواية "رفاع الطهطاوي" "تلخيص الإبريز في تخليص باريز" والتي هي بمثابة رحلة يقوم بها طالب المصري الى "باريس" في أو اخر القرن التاسع عشر، فيصف جغرافيتها، ثم ينبهر بحضارتها وعلومها وفنونها وأنظمتها السياسية والدستورية والإدارية، ثم يعجب بسكانها وأخلاقهم ومنازلهم وصحتهم وتأنقهم وعاداتهم، مع إشارته بالتلويح إلى التخلف العقلية الشرقية.

كما نجد مؤلف آخر قد سبقه إلى ذلك وهو"عبد الرحمان بن حسن" في كتابه "عجائب الآثار في التراجم والأخبار" بالإضافة إلى رواية "على مبارك" "علم الدين"، أما الكاتب "فرح أنطوان" في روايته " الدين والعلم والمال" أو المدن الثلاث"

فلقد ظل "الأنا العربي" معجبا ومنبهرا "بالآخر الغربي"، فهويمثل بالنسبة إليه النموذج الذي يقتدى به لكونه يتميز بالعديد من الصفات كالتقدم، الإبداع، التطور التكنولوجي وفي جميع المجالات العلمية، الاقتصادية، الثقافية، العسكرية والعمرانية لم يشهد العرب بمثلها، "كل ذلك بدأ العرب ينفتحون عليه، أو ينفتح به الغرب نفسه عليهم عبر تفاصيله التي أذهلت العرب بدءا من حملة نابليون وما تلاها من تعزز للعلاقات".

فمن خلال هذه الحملة تعرف العقل العربي على انجازات عصر التنوير الأوروبي حيث برز تقدم الأنموذج الحضاري الغربي مقارنة يوضع التخلف الذي كانت تعيشه المجتمعات العربية ذلك الحين.

ومن بين الأدباء أيضا الدين تأثروا بما وصلت إليه الحضارة العربية، حيث ترك ذلك بصمة واضحة في أثارهم، نجد "توفيق الحكيم"" الذي كان مأخوذا إلى حد بعيد بالحضارة الغربية،

يقول" نحن نعيش اليوم في عصر حضارة عظيمة هي الحضارة الأوروبية، فأي جهل منها بفرع من فروع هذه الحضارة معناه التخلف والقعود". [1]

ونجد كذلك (أحمد شوقي) يقر بإعجابه بفرنسا وذلك أثناء رحلته لها، فقد ظلت في وجدانه لا تغادره أبدا، وقد ملكت عليه عقله وقلبه، يقول: "فقضيت نحوشهرين كنت فيها قرير العين طيب النفس لولى مناظر رائعة ومباني شاهقة ومعلم للحضارة أقصى القرى شاهقة وآثار لدولة الرومان، تزداد حسنا على تقادم الزمان". [2]

فملامح الرواية مثلا لم تتفتح معالمها إلا بعد معايشة الآخر الغربي والاطلاع على إبداعه كما أشارت إليها "ماجدة حمودة" في قولها:" يلاحظ المتلقي نشوء الرواية قد تزامن مع الاحتكاك بالآخرو الإنبهارية". [3]

ب- الرؤية الحضارية:

فبعد الرؤية الإنبهارية والتي تشكلت في المرحلة الأولى من القرن التاسع عشر جاءت نخبة من المثقفين الجدد الذين شكلوا من خلال أعمالهم رؤية أقل حدة من الرؤية السابقة ك "طهحسين" و"توفيق الحكيم" و"يحي حقي" و"يوسف إدريس" الن سافروا إلى الخارج لطلب العلم، غير أنهم لم ينبهروا بالغرب إلى درجة السذاجة السطحية والاستغراب الخارق، وتنبهروا إلى أسباب تقدم الغرب، مع تنبههم إلى قيمة الشرق وتميزه على مستوى القيم الدينية والروحانية والدفاع عن أصالته وعاداته وتقاليده وحضارته و شرقيته، لكن هذا لا يعني أنهم في بدايات رحلاتهم قد انساقوا وراء نزواتهم الشعورية واللاشعورية، فكانت رؤيتهم للغرب

(1)سالم المعوش: صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع،ط,1 بيروت، لبنان، 1998، ص36.

(2)ماجد مصطفى: في الأدب العربي الحديث والمعاصر، دار الكرز للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، ط1، 2005، ص51.

(3)ماجدة حمودة: اشكالية الانا والآخر(نماذج عربية) , ص28.

على أنه رمز للحرية والعلم والتقدم والإشباع الغريزي، ولكنهم سرعان ما استيقظوا من سباتهم وذلك ليتعرفوا على حقيقة الغرب المادي باعتباره فضاء حضاريا مخالفا عقديا وقيميا ودينيا وأخلاقيا ... للقضاء الشرقي الروحاني، فالشرق شرق والغرب غرب، وهذا ما عبرت عنه الكثير من الروايات العربية بشكل واضح وجلي كرواية "الحي اللاتيني" "لسهيل إدريس" ، و"موسم الهجرة إلى الشمال" "للطبيب صالح" و"عصفور من الشرق" "لتوفيق الحكيم" و"الأيام""لطه حسين"، و"قنديل أم هاشم" "ليحي حقي" .

حيث تندرج هذه النصوص السردية كلها ضمن الرواية الحضارية، والتي تصور العلاقة الجدلية بين الشرق والغرب أو بين الشمال والجنوب.

أي أن الرواية الحضارية هي التي تجسد العلاقة بين الأنا والآخر، وترصد اللقاء الحضاري بين الشرق والغرب تخيلا وإبداعا وذلك على مستوى العادات والتقاليد والأعراف...وهذه العلاقة التي حددتها هذه النصوص الروائية المذكورة غالبا ما كانت تخضع سيميائيا على مستوى الرغبة (رغبة الذات في موضوع ما) لقانون الاتصال (الحب والغواية والافتتان والانبهار والجنس ...) والانفصال (الفراق والطلاق والعودة إلى البلد الأصلي، والتشبث بالقيم الشرقية، والتأقلم مع عوائد وتقاليد الشرق).

ج- الرؤية السياسية والحقوقية:

ونقصد بالرؤية السياسية والحقوقية تلك النظرة المبنية على تشخيص الحالة السياسية لدولة ما، وتبيان وضعية الحريات العامة الخاصة وحقوق الإنسان، فثمة مجموعة من الروايات العربية التينظرت الى علاقة "الأنا" بالغرب من زاوية سياسية، فاعتبرت الغرب مكانا للحرية الحقيقية وقضاء الديمقراطية، وحضنا حميميا لحقوق الإنسان، وملجأ سياسيا من الاستبداد العربي، ومن الروايات التي تحمل رؤية سياسية انتقادية تجاه هذه العلاقة نجد رواية "شرق المتوسط" للكاتب العربي"عبد الرحمان منيف" والتي تصور "رجب إسماعيل"

وهومنبهر بحضارة الغرب أيما انبهار،ومعجب بمدنيته أيما إعجاب. بسياسة العدالة وتشبثه بالديمقراطية الحقة، في حين يصف دول الشرق المتوسط بالتخلف والاستبداد والبطش والقهر وقمع الذوات الداعية لثورة التغيير، ويقول السارد متحدثا إلى أهل باريس:" لوجئتم بكتبكم على شاطئ المتوسط الشرقي، لقضيتم حياتكم كلها في السجون،سيأكلكم الندم، سوف تكفرون بكل شيء، تدفعون ثمن الكلمات حياتكم كلها في السجون الصحراوية، وهناك تصابون بالسل، والتيفوس وتموتون".

كما نجد هذه الرؤية واضحة لدى الروائي "صنع الله إبراهيم" في رواية" نجمة أغسطس" حيث يرصد جدلية" الأنا والآخر" وذلك عبر المقابلة بين الإنسان المصري والآخر الروسي، فالأو ل يعيش الفقر والداء والقمع بينما يعيش الثاني في سعادة وغنى ونعيم، كما ينتقد من خلالها التصور الإيديولوجي الاشتراكي الزائف عبر نسج حبكة غرامية بين البطل وعشيقته "تانيا"، أما الكاتب السوري "حنا مينا " في روايته "رحلة الربيع والخريف" فينبهر بحضارة "المجر" ويشيد بالتجربة الاشتراكية في "هنغاريا" ويدين سياسة الاعتقال والقمع والفقر والتجويع في بلدان الشرق والاستبداد والقهر، ويقارن بين"الشرق" المتخلف الضائع و"الغرب" الاشتراكي المتقدم من خلال تجربة عاطفية رومانسية بين "الراوي" "الخريف" و"بيروسكا" "الربيع. [1]

د- الرؤية العدوانية:

تشيد هذه الرؤية إلى اعتبار "الغير" أو "الآخر العربي" مخالفا ومقابلا "للأنا" أو "الذات العربية"، وبالتالي يحاول تغريب الذات وإقصائها وتهميشها، مع ممارسة العدوان والنبذ والحقد ضدها فيصبح "الغير" هنا جحيما لا يطاق، لتنتقل العلاقة بينهما من مرحلة التعايش والسلام إلى مرحلة العدوان والصراع، لينتج عنها ما يسمى بجدلية "السيد والعبد" (وهذا حسب فكر "هيجل"، لذلك فان العلاقة بين "الأنا والآخر" ليست دائما ايجابية[2]، وذلك ما يتجلى

(1) جميل حمداوي: صورة جدلية الأنا والآخر في الخطاب الروائي، الانترنيت في مقال.

(2 جورج طرابيشي: شرق غرب،رجولة أنوثة , ،ص172-175

في رواية" موسم الهجرة إلى الشمال" "للطيب صالح" بمثابة ، الجغرافية التي قلبت معادلة التاريخ، بتعبير "جورج طرابيشي"، وهي رواية محيرة أني أتوجه بها الباحث، كما أنها مكتنزة متلاحمة، مشوقة، تضمنت أسئلة عدة عن كنه الإنسان في التاريخ وكنهه في مجتمعه وكنه الإنسان في مجتمع غير مجتمعه.

حيث نلمس في هذه الرواية آثار الاحتكاك العنيف بالآخر الغربي، فقد اختار لروايته بطل الأنا المركزية، سماه"مصطفى سعيد"، هذه الشخصية المعقدة ثارت في وجه الآخر بطريقتها الخاصة ما جعل النص الروائي أنموذجا فريدا جسد العلاقة التقابلية (شرق/غرب)، هذه العلاقة المتوترة يرى فيها جورج طرابيشي أن لها حدين، أو لهما الجنس وثانيهما الموت.

فبطل الرواية يمثل رمزا، تحدث عن إشكالية الأجيال، فهوسوداني تزوج انجليزية، وحينما امتلكها قتلها انتقاما من قومها الذين احتلوا بلاده (السودان)، تلك الصورة العنيفة أشار اليها "جورج طرابيشي" "أن الحضارة الغربية لا تسلم نفسها لطالبها، الأني من الشرق أو من الجنوب، إلا إذا خلعته من تاريخه وقطعته عن ماضيه وجردته من تراثه فصمته عن شخصيته الحضارية، بل الدينية، الحضارة الغربية لا تقوم إلا على أشلاء الحضارات الأخرى، حضارة حصرية تنفي كل ما عداها، فلا تقبل تحاورا وتقابلا". [1]

إن الحضارة العربية–الآخر الأوروبي– جسدتها شخصية الأنثى الانجليزية(جين موريس) عندما قدمت نفسها مشروعا لتخليص مصطفى سعيد من قيمه ومبادئه وتضيع أخلاقه، والرواية بأكملها مثال عن أدب تجنيس العلاقات الحضارية وإلباسها لباس علاقة الذكر بالأنثى (الرجل بالمرأة)، الأنثى التي يشتهيها الأنا المشرقي فيلهث خلفها مدة من الزمن، ثم يرمي بها بعيدا دون مراعاة لإنسانيتها، وبعد أن أشفى غليله منها قال:" رفعت الخنجر ببطء

(1)المرجع نفسه:ن ص.

فتابعت حده بعينيها، واتسعت حدقتا العينين فجأة وضعت الخنجر بين نهديهاوهي تصرخ متوسلة: "تعال معي تعال، لا تدعني أذهب وحدي"[1]

إلا أن البطل بدوره لقى حتفه غرقا في فيضان نهر النيل العظيم، بعد أن عاد إلى بلاده بنفسه البطل المنتقم، المنتصر، إذ تزوج بفتاة سودانية (حسنة بنت محمود) والتي أنجبت له طفلان. [(2)]

وبناءا على ما سبق، نسجل أن البداية الحقيقية للرواية العربية لم تتحقق إلا مع صدمة الحداثة التي استوجبت ثنائية "الأنا والآخر" حيث وردت في النصوص السردية أما في مظهر ايجابي قائم على الانبهار بالحضارة الغربية، كما وردت في الرواية الإنبهارية والسياسية والحقوقية، والاعتراف بتقدم الغرب مع الوعي بخصوصيات الشرق والمدافعة على أصالته وقداسته الدينية والروحية كما في كثير من الروايات الفلسطينية على وجه الخصوص.

ومن ثم يمكن الحديث عن مجموعة من المراحل التي مرت بها الرواية "الأنا والآخر" والتي يمكن حصرها في المراحل التالية:

1-مرحلة الانبهار في القرن التاسع عشر(الروايات الانبهارية).
2-مرحلة الوعي والتعقل مع سنوات القرن العشرين وذلك عبر التوفيق بين منجزات الغرب ومعطيات الشرق(الروايات الحضارية).
3-مرحلة النضج وممارسة النقد الذاتي في العقود الأخيرة من القرن العشرين وسنوات الألفية الثالثة(الروايات السياسية والحقوقية والروايات ذات الصراعالجدلي ...).

(1)جميل حمداوي ;**صورة الأنا و الآخر في الخطاب الروائية, مقال في الإنترنيت.**
(2)جورج طرابيشي :شرق غرب رجولة أنوثة. ص 172-173.

الفصل الثاني:

تمثيلات الهوية وأبعادها وتجلياتها في المدونة

توطئة:

تعدّ الرواية من أقدم الفنون على تقديم تفاصيل الحياة بكل حقائقها وأو هامها، مما يتيح لنا دراسة إشكالية العلاقة بين الأنا والآخر فيها، إذ يستطيع أن تفتح أمام المتلقي الطريق لفهم الذات والآخر معا، فهي قادرة على تجسيد أفكارنا ومشاعرنا وأحلامنا، وطرح ما يعترضنا من إشكالات تعانيها الأنا في مواجهة الآخر، كل ذلك يفسح المجال " لتقديم اضطراب رؤيتنا وقلقنا، وإحباطنا، فيعكس تطور نظرتنا لذواتنا، وإلى الآخرين، مثل ما يعكس أو هامنا وأفكارنا المسبقة التي كثيرا ما نجد أنفسنا أسرى لها، فهي تشكل أسس تصرفاتنا وعلاقتنا مع الآخر"[1]، وهذا ما جسدته رواية واقعية صدرت عام 2016، والتي جسدت لنا ثنائية الأنا والآخر.

الأنا، مجسدة في ذات البطل "جوزيف رينشار" الذي اعتنق الإسلام، واستقر ف الجزائر منذ عقود، وعايش أحداثها وتحولاتها.

والآخر، مجسد في شخصية "إيزابيلإيبرهارت"، الرحالة التي استقرت في الجزائر وتنقلت بين مدنها وبلداتها شمالا وجنوبا.

لقد استطاعت الرواية أن تقارن إشكالية المتطورين بين "الأنا والآخر، والعلاقة المركبة بينهما التي تثير القلق والحيرة، ولعل استمرار الرواية في التعامل مع هذا الهاجس الفكرة القائلة:" أن الرواية هي الجنسالأدبي الأقدر علىالتعبير عن علائق الإنسان الحديث المعقدة، سواء على صعيد الذات أو على صعيد فهم المجتمع، واستيعاب التحولات المتسارعة". [2]

(1)ماجدة حمودة: إشكالية الأنا والآخر (نموذج روائية عربية)، ص14.

(2)فتحي أبوالعينين: صورة الذات وصورة الآخر في الخطاب الروائي العربي: تحليل سوسيولوجي لرواية(محأو لة خروج)، ضمن كتاب صورة الآخر العربي، الظاهر بسب وآخرون ناظرا أو منظور إليه، مركز دراسات الوحدة العربي، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص 811.

وبما أن صورة الآخر في النصوص الروائية العربية، تظهر بأشكال وأنماط مختلفة من قبل الدارسين والباحثين على حد سواء، ذلك أن الرواية تناولت ثنائية الأنا والآخر،فسنحاول في هذاالصدد إبراز تمثيلات الهوية في رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل""لسعيد خطيبي والمتمثلة كالآتي :"

أو لا- تمثيلات الهوية:

طرحت رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" ملامح الهوية والتي جعلت من "الأنا" أن تكشف عن صورتها السلبية التي تمظهرت عبر أفكارها ومشاعرها اتجاه الوطن الذي حاولت أن تتأقلم ملامحه فترة أربعين عام، وهذا ما سنطرحه في المبحث المعنون "بتمثيلات الهوية" حيث سنطرح أبعاد الهوية من خلال: الهوية الدينية، الهوية الثقافية، بين الهوية والانتماء.

1- الهوية الدينية:

قبل الحديث عن تمثيلات الهوية الدينية في رواية " أربعون عاما في انتظار إيزابيل" "لسعيد خطيبي" لابد من الإشارة إلى تعريف الدين باعتباره من أبرز المقومات التي تقوم عليها الأمة، وللتعريف بالدين يمكننا القول: هوالاستسلام والتسليم لله بالوحدانية وإفراده بالعبادة قولا وفعلا، واعتقادا حسب ما جاء في شريعة "النبي محمد صلى الله عليه وسلم "في العقائد والأحكام، والآداب والتشريعات والأوامر والنواهي، وكل أمور الحياة[1]، فهوجملة المبادئ التي تدين بها أمة من الأمم اعتقادا وعملا.

مما سبق نستنتج أن الدين من أهم العناصر التي تشكل ثقافة المجتمعات وتوحد قيم ومفاهيم الأفراد فيها وأنماط تفكيرهم وعاداتهم وتقاليدهم، إذ تكمن أهمية الدين في أنه يخاطب عقول الناس وقلوبهم فهومن أقوى المرتكزات وهذا ما يحيل إلى مفهوم الهوية.

(1)المرجع السابق : ص811.

يطرح "سعيد خطيبي" في الرواية قضية الهوية الدينية التي عاشها "جوزيف" في مدينة "بوسعادة" حيث تبدولنا شخصية "جوزيف" شخصية معقدة، تمتزج فيها مجموعة من الديانات، بين دين متأصلا فيه، وهي العقيدة النصرانية، وبين الديانة الإسلامية.

والمتتبع لشخصية "جوزيف" يجده بين متناقضتين فهومن جهة يبدي إعجابه بالإسلام واللغة العربية، وتارة يتبدى لنا صورة "جوزيف" المعادي للإسلام.

يمكن القول أن الذات في هذه الرواية استطاعت أن تنسلخ من أحد مقومات هويتها وهوالدين الإسلامي، وتنازلها عن شعائرها الدينية، التي تشبعت بها منذ الصغر، حيث يظهر ذلك من خلال ترديده في الكثير من الأحيان بعض الأدعية كقوله: «ورحت أردد مع المشيعين يا الله يا رحمان يا رحيم يا الله... اغفر لنا وله برحمتك يا الله»[1].

وقوله أيضا: «خرجت من الزاوية وأنا أستغفر الله وأسبح بحمده»[2]، «طويت الورقة استغفرت الله»[3]، يبدومن خلال هذه المقاطع أن الذات قد تبنت هوية جديدة وذلك من خلال ترديدها لهذه الأدعية، وذلك لشعور الذات بالولاء والانتماء لهذا الدين الإسلامي.

والملاحظ من خلال الرواية أن "جوزيف" يبدي إعجابه باللغة العربية وفي ذلك يقول: «حينها سأستغل الفرصة وأعرض عليها ما تعلمته من لغة العرب، أرتل أمامها بعضا من صغار السور: "قل أعوذ برب الناس..." "قل هوالله أحد..." "لإيلاف قريش..." وسورة الأعلى التي أحفظها على ظهر قلب»[4]، فاللغة تمثل حصنا وأمانا للهوية، وهي من أهم العناصر التي تساهم في بنائها والحفاظ عليها، وهذا ما يوضحه (رمزي بعلبكي) قائلا: «اللغة منظورا إليها

(1) سعيد خطيبي: **أربعون عاما في انتظار إيزابيل**، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف الجزائر العاصمة، بيروت،ط1 2016، ص101.

(2) الرواية: ص72.

(3)الرواية: ص105.

(4) الرواية: ص31.

من زاوية الهوية، ليست مجرد أداة تواصلية محايدة وسلبية، بل هي كائن إيجابي وفاعل في إعادة إنتاج ذات الهوية وتطويرها... إضافة إلى أنها أحد أركانها وأنحائها الكبرى»[1].

والملاحظ أن بطل الرواية "جوزيف" قد تنازل عن شعائره الدينية، التي اعتاد عليها في صغره يقول: «امتنعت منذ أربعين عاما عن الاحتفال "بعيد القديسين" في "الفاتح من كل شهر نوفمبر"، وتغاضيت عن "عيد الفصح"، و"عيد الصعود"... وكل المناسبات الكاثوليكية الأخرى، التي ورثتها من أمي ومن طفولتي في فرنسا تنازلت عنها»[2]، يفصح لنا هذا القول أن "جوزيف" قد تنازل وتحلى عن مقومات دينه وعاداته محاولا أن يغرس في نفسه شعورا بالانتماء لهذا البلد ودينه.

رغم هذا الانسلاخ لدى جوزيف عن الهوية المسيحية غير أنه لا يميل إلى الدين الإسلامي ميل كاملا، حيث يظهر في بعض أقواله تقمصه للهوية الإسلامية ليس إلا وهذا ما يصوره المقطع الآتي: «كنت أتعامل معهم كما لوأنني كنت مسلما مطيعا لقواعد الإسلام الخمس، ملتزما بالركن الرابع من الدين»[3].

ويقول أيضا:«لكنني نجحت في تقمص الدور في كسب ود الجيران وسليمان...» [4]، يفصح هذا القول أن "جوزيف" يحاول أن يخفي نصرانيته كما يحاول أن يظهر إسلامه، إن هذا التظاهر والذي يتمثل في تقمصه لديانة الإسلامية لم يأت من فراغ بل نتيجة عيشه داخل وسط غير وسطه الطبيعي، وعادات وتقاليد غريبة عنه، كما يتبدى لنا هذا الانسلاخ في موضوع آخر حيث يقول: «فشلت في الصيام كما لا يليق بمسلم حافظ لحزب من القرآن،

(1) سعاد بوضياف ولبوخ بوجملين: أثر الهوية اللغوية في تطور اللغة العربية، مجلة الآثر، ع25، جوان، 2016، ص196.

(2) الرواية: ص131.

(3) الرواية: ص129.

(4) الرواية: ص130.

حاج لبيت الله ومواظب على صلاة الجمعة، وفشلت في إقناع نفسي بالعمرة في رمضان، وأداء الصلاة في المسجد الحرم ليلة السابع والعشرين، التي يعتقد أنها ليلة القدر»[1].

يفصح لنا هذا القول عدم قناعة "جوزيف" بهذه الديانة مما أدى بعجزه إلى أداء مناسكها على أكمل وجه، فيقول أيضا: «سوف أصوم يوما أو بعض يوم، كما كنت أفعل دائما، وأحتفل وقت الغروب ساعة الإفطار، بمأدبة أكل، مع سليمان...» [2].

ويتجلى أيضا التمسك بالهوية الدينية لدى جوزيف من خلال زيارته الكنيسة وأداءه الصلاة بها حيث يقول: «أصلي صلوات سريعة وقلقة، أدعوالرب أن يجنبني أنا وسليمان كل مكروه، ثم أرسم إشارة الصليب وأخرج مهرولا»[3]، يفصح هذا القول أن جوزيف لازال يؤدي الطقوس المسيحية ويذهب إلى الكنيسة رغم ادعائه بالإسلام، وربما يعود ذلك إلى عدم الرضا عن نفسه، ويضيف قائلا: «أنا الكائن الوحيد الذي يزور من حين لآخر الكنيسة المتوحدة... أزورها بحب أرملة مخلصة لزوجها، أحمل عليها شموعا وأو قدها بنفسي، وأنفض الغبار عن الكراسي الخشبية وعلى الصلبان وأصلي»[4]، الواضح أن جوزيف لم يتخلى عن ما عهده وآلفه رغم أنه مسلم كما يدعي.

وفي مقطع آخر يظهر لنا موقف جوزيف اتجاه الإسلام حيث يبدي استهزاءه منه حيث يقول: «كما لم يسبق لي أن اتكلت على نصيحة سليمان: قبل أن تأكل اذكر اسم الله ! كما لوأن تلك العبارة المقدسة والمبتكرة بحسب الطلب، كفيلة بحمايتي من البكتيريا ومن

(1) الرواية: ن ص.

(2)الرواية: ص128.

(3) الرواية : ص52.

(4) الرواية: ص52.

الفيروسات ومن أمراض خبيثة لا حول لي بها ولا قوة»[1]، ويضيف قائلا: «... زلا أقول بسم الله قبل الشروع في الأكل ولا الحمد لله عند الانتهاء منه»[2].

2- الهوية الثقافية:

أضحى موضوع الهوية في منطقة عربية بصفة عامة مرتبط بإشكالية تحديد الانتماء سواء (للفرد أو الجماعة أو الشعب)، فلا تزال معظم دول هذه المنطقة تعاني من صراعات الإثنية والعرقية، زاد تعقيد أزمة الهوية التي تعتبر عامل أساسي في تهديد بنية النظام السياسي، بوجود اختلال توازن في العلاقة بين النخبة الحاكمة والفئات الاجتماعية المهمشة.

وإذا عدنا إلى تاريخ كل الروايات العربية ونخص بالذكر الجزائرية التي كتبت في فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، نجد أن كتابها تطرقوا إلى أزمة الهوية ساهم العامل الفرنسي إلى مسح بعض جذورها، من خلال إزاحة الخصوصيات الحضارية واللغوية والثقافية والدينية للمجتمع، وبعد انتزاع الاستقلال[3]، برز عامل أزمة الهوية الوطنية الجزائرية الذي انعكس سلبا على الحياة السياسية والاجتماعية للدولة.

يمكن تعريف الهوية الثقافية: "بأنها المبادئ الأصلية السامية والذاتية النابعة من الشعوب وتلك ركائز الإنسان التي تمثل كيانه الشخصي والروحي والمادي"[4]، بعبارة أخرى هي المعبر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم، عن نظرة هذه الأمة إلى الكون والحياة والموت والإنسان ومهامه وقدراته وحدوده وما ينبغي أن يعمل وما ينبغي أن يأمل.

---

(1) الرواية: ص109.

(2) الرواية: ص109.

(3) بوعلام إقلولي: تمثلات، مجلة أكاديمية في الأدب واللغة والثقافة والفكر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، العدد الثني، جوان 2015، ص100.

(4)فوزي محمد الهادي شحاتة: مشكلات الشباب، أزمة هوية ثقافية، مجلة كلية الخدمة الاجتماعية، الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الغيوم، العدد الثالث، ص07.

وهذا ما سنحاول البحث عنه في الرواية التي نحن بصدد دراستها وهي: أربعون عاما في انتظار إيزابيل لسعيد خطيبي وذلك لاستخراج أبعاد الهوية الثقافية فيها فعند قراءتنا للرواية نعالج قضية الهوية الثقافية التي عاشها الحاج "جوزيف" في مدينة "بوسعادة" ليقول :لم أتعود على الحياة الفرنسية، التي غادرتها شابا، كما أني لم أتعود على الوقت، وبقيت أعيش بتوقيت المدينة... أتكلم في البيت بلغة، وفي الشارع عندما أخرج لشراء خضر وخبز... أعيش بهويتين بوجهين، الأول لفرنسي قروي قديم، خاض خربا عالمية، والوجه[1] الثاني الجزائري دخل شارك في حرب تحريرية، نلحظ أن هويته مشتتة مقسمة بين هويتين، ففي الماضي كانت هويته فرنسية هوية متمسكة بعاداتها وتقاليدها ولغتها أي هوية غير مفككة، أما الآن بعد دخول الجزائر ومعايشته له كل هذه الفترة تفككت هويته إلى هويتين: "جزائرية-فرنسية"، فهوضائع بين ما كان عليه وما هوفيه الآن، أيضا

وكما سبق الذكر تطرق الكاتب إلى هوية ثقافية أخرى وهي الهوية الثقافية السياسية، من خلال تأثرها بما حدث في الجزائر وتلك السياسات التي استعملها المستعمر ضد الجزائريين، فخص من تلك الأحداث في مظاهرات "5 أكتوبر 1988 "، فيقول: «للشباب الذين خرجوا في مظاهرات "5 أكتوبر 1988" بالمتشردين فقطاع الطرق، وقتها جاءت مجموعة من الشباب الغاضب... الناقمين على ظروف العيش الصعبة إلى بيوتهم»، من خلال هذا نفهم أن الراوي قد أثرت فيه أحداث 5 أكتوبر.

وعند مواصلتنا لقراءة طيات الرواية، نجد أن الكاتب تطرق إلى هويات ثقافية عدة كالهوية الثقافية الدينية، إذ يشير في مواضيع عدة من الرواية إلى بعض العادات التي لا تنتمي إلى ديننا، الأجواء التي وصلت إليها الجزائر من الاشتباكات أثر هذه الأجواء على الجميع من تغيرات حقيقية حدثت في بنية المجتمع الجزائري وثقافته.[2]

(1) سعيد خطيبي: أربعون عاما في انتظار إيزابيل، ص154-155.

(2) المصدر السابق: ص92.

وعند مواصلتنا لقراءة طيات الرواية، نجد أن الكاتب تطرق إلى هويات ثقافية عدة كالهوية الثقافية الدينية، أخص في مواضيع عدة من الرواية إلى بعض العادات التي لا تنتمي إلى ديننا الحنيف في قوله: «بشرب ما وصلت إليه يدي من نبيذ "محلي"أو "فرنسي" بحسب المزاج سليمان لم يكن يروقه رؤية قنينة خمر في الغرفة أو في المطبخ... لم يسبق أن تجاوزت حدي وثملت»[1]، فالخمر في ديننا محرم، وهي عادة سيئة دخيلة عن عاداتنا، "فجوزيف "غلبت عليه الثقافة الفرنسية وذلك لأنه عاش منذ صغره في فرنسا.

ويقول "عبد الهادي" : يضاجع في اليوم الواحد أكثر من فتاة وسط قارورات "الفودكا" و"الويسكي" و"لفافات الحشيش"، يتسكع في البارات وفي الملاهي، يطوف من سرير لآخر[2]، ارتكاب عبد الهادي جريمة الزنا انحرافات جنسية في "موسكو". لما جاء في قول الله تعالى: «وَلَا تَنْكِحوا المشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوأَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تَنْكِحُوا المشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مشْرِكٍ وَلَوأَعْجَبَكُمْ أولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللهُ يَدْعُوإِلَى الجَنَّةِ وَالمغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِن آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَهُمْ يَتَذَكَرُونَ»، هذا تحريم من الله عز وجل على المؤمنين أن يتزوجوا المشركات من عبدة الأوثان، لا تزوجوا الرجال المشركين النساء المؤمنات، كما قال تعالى: «لَا هُنَّ حِلٌ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُونَ لَهُنَّ»، ثم قال تعالى:«وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوأَعْجَبَكُمْ» أي ولرجل مؤمن ولوكان عبدا حبشيا خير من مشرك، وإن كان رئيسا سريا، (أولئك يدعون إلى النار) أي معاشرتهم ومخالطتهم تبعث على حب الدنيا واقتنائها وإيثارها على الدار الآخرة، وعاقبة ذلك وخيمة، الطرف الذي سقط هنا هوالأنا التي تخلت عن هويتها في تحقيق اللذة، فالعربي يجب أن يؤكد على ثقافته الدينية مهما تأثر بالديانات الأخرى، وهذا ما كان على "عبد الهادي" أن يتمسك به.

(1) الرواية: ص23.

(2)الرواية: ص117.

لعل من أهم ما فعله "سعيد خطيبي" من خلال سرده الروائي عن قضية الهوية الثقافية، أنه جعل "جوزيف" يروي عن عادات المناطق العربية التي تتشابه في البلدان العربية فالجميع يثرثرون ليل نهار ويحاولون دائما أن يدسوا أنوفهم فيما لا يعنيهم، فنراهم مثلا يتهمون "إيزابيل" بالجاسوسية لمجرد أنها كانت مختلفة عنهم: «هي كانت تشك في نفسها، في صدق علاقتها بالسماء... يوشوشن في أذان رجالهن بأنها جاسوسة»[1]، وحينما يأتي بخادمة إلى البيت لتنظيفه نجد أن سليمان يخشى كلام الآخرين لوجود الخادمة لديهم يقول أيضا: «تعرفت على "زوينة" عن طريق جارتنا الحاجة خيرة، التي تعلمت أصول التوليد عن أمها، وصارت قابلة بالوراثة في المستشفى...أنت حاب تجيب العيب وكلام الجيران»[2].

لعل هذه الثرثرة والتدخل الدائم في شؤون الغير هما من سمات جميع المجتمعات العربية تقريبا، لقد كان جوزيف يرصد سلوكيات المجتمع الجزائري ويعود ذلك إلى اختلاف ثقافته عن ثقافة أهالي مدينة بوسعادة، فبعض العادات كانت تثير غضبه يراها عادات دخيلة لكن عيشه في هذه لمدينة يستوجب عليه التأقلم يقول: «تعود أبناء الجيران على طرق الباب لطلب "ليمون، خبز، ملح، سكر، زيت زيتون"، أو أي شيء آخر من أغراض المطبخ، ومرات يطلبون أو ان لاستخدامها... أعطاها سليمان حبتين ليمون أحضرهما من المطبخ وطلب منها أن تبلغ سلامها للميلود»[3].

يشكل التراث هوروح الماضي، وروح الحاضر وروح المستقبل بالنسبة للإنسان الذي يحيا، وتموت شخصيته وهويته إذا ابتعد عنه، أو فقده، لذلك نرى الإنسان –العربي بصفة خاصة– يتمسك بتراثه بصورة أو بأخرى سواء في أقواله وأفعاله،ويعرف التراث بأنه «ذلك المخزون الثقافي المتنوع والمتوارث من قبل الآباء والأجداد والمشتمل على "القيم الدينية" و"التاريخية"

(1) المصدر السابق: ص130–131.

(2) الرواية: ص37–38.

(3) الرواية: ص75–76.

و"الشعبية" بما فيها من عادات وتقاليد سواء كانت هذه القيم مدونة في كتب التراث العميقة أو مبثوثة بين سطورها، أو متوارثة أو مكتسبة بمرور الزمن»[1]،

ومن أشكاال التراث التي رسمت معالم االهوية االثقافية، الألعابُ الشعبية التقليدية؛ فهي جزء لا يستهان به من عادات أي شعب من الشعوب،وليس الشعب الجزائري بدعا من ذلك، يقول جوزيف: «كانت تجمعنا جلسات لعبة "السيق" التقليدية، التي تلعب بأعواد القصب، في أرصفة الحي، برفقة جيران لنا... اثناءها في كل شيء، في السياسة والمجتمع»[2]، اكتفى البطل بوصف ما جعله يشعر بأنه واحد منهم ينتمي إلى هذا الموروث الثقافي.

وتأتي الأمثال الشعبية التي تعد من أكثر الأشكال التعبيرية المنطوقة تناولا وتعبيرا عن تجارب الإنسان. وهي من الأشكال التي تتعدد موضوعاتها وتتنوع تبعا لتداولها بين الأفراد فاستحضرتها العقلية الشعبية، فغدت وسيلة تعليمية تنقل تراكما معرفيا لكل ما له صلة بحياة الإنسان، فكانت مؤونة يستعين بها كلما دعت الضرورة، وتعددت عملية توظيفها عبر محطات متفرقة في الرواية، إذ يقول "سليمان": «خذ الرأي اللي يبكيك ولا تأخذ الرأي اللي يضحكك»[3]، كما يقول أحمد المنور: «... وش يدير الميت في يد غساله»[4]، يقول جوزيف: «أنا أردد في سري المثل الشعبي: عاش ما كسب، مات ما خلى !».

كما تحتوي الرواية على زخم ثقافي لنظام اللباس ونظام الطعام، فاللباس يرتبط بلونه وشكله وطريقة ارتداءه مرتبطة بثقافة معينة، «يصف جوزيف "زوينة": المرأة تتجاوز الأربعين، وهي متزوجة ولها ثلاثة أو لاد، كما أن مظهرها ليس فيه ما يغري للناظر تأتي إلى البيت دائما

(1) سيد علي إسماعيل: أثر التراث العربي في المسرح المصري المعاصر، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، دار المرجاج، القاهرة،ط1. 2017، ص38.

(2) الرواية: ص97.

(3) الرواية: ص36.

(4) الرواية: ص70.

مرتدية جلابة زرقاء، باهتة طويلة لا تغيرها وخمارا أسود وأبيض، يغطي شعرها وفوقهما تلبس "ملحفة" بيضاء تغطي كامل جسدها»[1]. [2]

كانت ولاتزال نساء بوسعادة يرتدين "الملحفة البيضاء" التي ترمز لحياء وحشمة المرأة. [3]

ويروي لنا عن "علجية" قائلا: «بينما تخرج "علجية" مرتدية ملحفة بيضاء، وحذاء بكعب عالي إلى وجهة أجهلها»[4].

وكذلك الأمر بالنسبة للطعام، حيث يروي لنا جوزيف عن أجمل اللحظات التي يعيشها لتنسيه مآسيه يقول: سوف أصوم يوما أو بعض اليوم، كما كنت أفعل دائما وأحتفل وقت الغروب، ساعة الإفطار بمأدبة الأكل مع سليمان أتلذذ بصحون "الشربة" والمرق و"طاجين الحلو" بالفواكه المجففة...» [5]، كما نجده يستذكره عاداته الفرنسية ويحييها في مدينة بوسعادة لكي يتحايل على آلامه التي تولد الغربة في الوطن، يقول:«... أحب أن أقرأ لها ليلا، وأنا أمضغ خبزا وقليلا من جبنة "الكونتي" القادمة من سهول "جورا" شرق فرنسا... من نبيذ محلي أو فرنسي»[6].

يتضح لنا من خلال ما سبق أن المجتمع في حركية مستمرة وحركيته هذه تعزز ظواهر اجتماعية مختلفة من بين هذه الظواهر العادات والتقاليد التي تشكل قوانين دستورية في المجتمع، وأي خروج عنها يعرض الفرد إلى سلطان الضمير الجمعي الذي يمتاز به المجتمع.

---

(1) الرواية: ص103.

(2) الرواية: ص38.

(3 الرواية: ص23.

(4الرواية: ص75.

(5)الرواية: ص.128

(6)الرواية: ص23.

ثانيا- تجليات الأنا والآخر عبر ضمائر السرد:

من النادر أن نجد شغلا رصينا على السرد الروائي عزف عن تناول ضمائر السرد وتنوعها ودورها، في منح العمل الروائي مزيدا من الجاذبية، على وجه العموم هي ثلاثة ضمائر: «أنا وهو: ضمير المتكلم ,أنت: وهوضمير المخاطب، وثالثا هوضمير الغائب» يظهر أن هذا الأخير -ضمير الغائب "هو"- هوالأكثر استعمالا في السرد يليها "هي، أنا، أنت" ومن النادر أن يكون السرد بأحد ضمائر الجمع (كنحن- أنتم- الأنتن) خلافا لما نجده أحيانا في السرد المسرحي على سبيل المثال، ومن البديهي أن استعمال أي من ضمائر السرد يقتضي وجود ثنائية الأنا والآخر، فعندما يكون الأنا هوالسارد تصبح الثنائية (الذات والغير) في موقع الوضوح والسطوع فلأنا أنا، وكل ما يقع حارج نطاقها ينتمي إلى خانة الآخر[1].

1- الأنا عبر ضمائر السرد:

«فالسارد بـ (ضمير المتكلم) يحكي عن أَنَاهُ وعن الآخرين بقدر ارتباطهم مع هذه الأنا وتَعَالُقِهِم معَها، وبقدر ما كانت (أنا) هي المركز كان الآخرون هم الفاعلون الذين تتجه أفعالهم إلى هذه الأنا»[2]، السرد بضمير المتكلم -أنا- وسيلة من الوسائل المهمة التي تعين السارد له القدرة على توغل في أعماق النفس كاشفا أسرارها، أحاسيسها، وأفكارها بكل حرية للمتلقي، والسر في هذا النوع من السرد يتيح للقارئ أن يتوغل في العمل الروائي أكثر، وهوما سنأتي على توضيحه من خلال دراستنا لرواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل".

إذ نجده يُفصِح قائلا: «سأرسم لوحتين أخيرتين "لإيزابيل إيبرهارت"، أردمهما في حديقة البيت، بين الكرمة وشجرة الليمون، وسأفعل الشيء نفسه مع اللّوحات الثلاث عشر الأخرى، وابتلع، كالعادة، كلمات "سليمان" الصاخبة ولعناته، لن أرد على لومه لي بأنها فعلة مخلة

(1) صالح صالح: **سرد الآخر والآخر عبر اللغة السردية**، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان،ط1, 2003، ص64.

(2) وليد حامد محمد الجعل : شعرية السرد في روايات ليلى عثمان. إعداد الدكتور: وليد محمود أبو ندى, الجامعة الإسلامية-غزة, كلية الآداب واللغات, قسم اللغة العربية ,1436-2015م, ص85

بأخلاق الفن»[1]. وهنا يصرح البطل الإشكالي "الحاج جوزيف" بالضمير المتكلم –أنا– وقد قطع وعدا على نفسه لإنهاء مشروع رسم لوحتين في وقت قريب.

هذا المقطع بإشارة منه يريد أن يبحث عن أصل قضية "إيزابيل"، التي وضعها كعنوان ويغوص في أعماقها ومحاولة الكشف عن جذورها فهويبعث الرغبة في إقحام ... واكتشاف تاريخ المسشرقة، كما صور لنا أوضاعه هووصديقه سليمان التي يمران بها في هذه المدينة، نجد تصريحات عديدة متعلقة به «سيقولون –مثلا– أنني كنت صديقا للمناضلين "محمد بوضياف"، و "عبّان رمضان"، وأنني ساعدتهما على الفرار من أعين الشرطة وجنبتهما السجن أكثر من مرة، وأنني كنت نصيرا للجزائر المستقلة، عدولفرنسا الكولونيالية ولجيشها الزاحف»[2]، يتبدى –ضمير المتكلم– عند "جوزيف رينشار" الذي اختار العيش في الجزائر ورغبته الثانية التي ظلت مرتبطة بالتواصل الثوري، ووقوفه إلى جانب المجاهدين ضد بلده فرنسا، نلتمس جرأة الحاج "جوزيف" وحديثه عن حياته الماضية بكل صدق، وقوله أيضا: «اعتنقت الإسلام ونطقت بتلعثم الشهادتين في المسجد الكبير، ثم أديت مناسك الحج رفقة سليمان، في رحلة برية مضنية ، من هذه المدينة الترابية البكماء إلى مكة المكرمة، على متن سيارة "رونو"»[3]

إن الأنا هنا على الرغم من أانها غير ظاهرة إلا أننا نفهم من خلال سياق الكلام على اعتناق "جوزيف" للدين الإسلامي، وزيارته البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج، ونطق بالشهادتين ضمانا للحصول على هوية جديدة، يقول: «أتصفحه بهدوء، وتمعن، وأجسدها عليه وأقول في نفسي: ليتني كنت أنا كاتب النص... لست أقارن نفسي"بإيزابيل إيبرهارت"

(1)الرواية : ص11.

(2) المصدر السابق: ص11.

(3) الرواية: ص12.

لكنني سأحاول أن أكتب شيئا ... سأكتب لأنسى أنني سأرحل من هذه الأرض قهرا»[1]، ما نراه في حديث السارد الذي جاء بنبرة التمني لوكان هدا صاحب المخطوط، في حين يفكر أن علاقته بالأدب كانت على سبيل صدفة، لكن سيحاول أن يكتب شيئا مشابه "لإيبرهارت" «أصلي الصلوات سريعة وقلقة، أدعوالرب بأن يجنبني أنا و"سليمان"كل مكروه، ثم أرسم إشارة الصليب... كما لوأنني أدخل وأخرج من مكان مشؤوم»[2].

لم يصرح بضمير المتكلم، أنه يعيش شخصيتين في آن واحد أيضا، فهو يعلن إسلامه ليخفي مع ذلك روحه المسيحية "نصراني" بنصف "مسلم"، إذ تجد البطل يعرف نفسه بضمير (الأنا) فيقول: «أنا "جوزيف رينشار"، "ابن شارل" و"آنلور"، أتأكد من ملمح العجوز الذي صرتالتمس التجاعيد التي تقسم جبهتي... في ضاحية باريس البعيدة»[3]، فقد خص بالذكر باريس لكونها بلده الذي نشأ فيه وبعد أيام سيعود من حيث أتى.

إضافة إلى هذا نجد أن الرواية رسمت بجملة من الأحداث التي يلجأ فيها الروائي إلى اعتماد ضمير المخاطب، ومن أشهر من اصطنعه غربا في الرواية الجديدة هو "ميشال" بيطور"(Michel butor)[(*)] في رواية " التحوير" ويطلق عليها منظور الرواية الفرنسيون ضمير الشخص الثاني وهذا الضمير يأتي استعماله وسطا بين (ضمير الغائب والمتكلم)، فإذا هولا يحيل على داخل حتما ولا يحيل على خارج قطعا فهويقع بتجاذبه بين الحضور الفردي المائل في ضمير المتكلم ويتنازعه الغياب المجسد في ضمير الغائب.

إن ضمير المخاطب أو "الأنت" يتيح لي أن أصف الشخصية كما يتيح لي وصف التي تُوَلِدُ اللغة فيها، ولذلك نجد البطل قد استعمل ضمير المخاطب في محطات عديدة من الرواية،

(1) الرواية: ص15.

(2) الرواية: ص52.

(3) الرواية: ص149.

(*) **ميشال بوتر Micheal Butor**: **التجول**، تر: هناء صبحت، دار الكتب الوطنية اثناء، ط1، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2010، ص24.

يقول: «أتذكر أني عشت بذهن متصلب، ومزاج حاد متقلب[...]أن يتغاضى عن نزواتي الشخصية» اعتمد ضمير المخاطب الغير ظاهر أي دون أن يصرح به، فقد اكتفى بتذكر أيام شبابه الممزوجة بنزواته التي رافقته حتى هرمه أيضا يقول: «هل أنت من كان يحمل السلاح، أما هوالسلاح من كان يحملك؟» عمد الكاتب إلى التصريح بضمير المخاطب (أنت) بصورة جلية ممزوجة بنوع من السخرية والاستفزاز، حيث يشكك في قدرات "محاد" على حمل السلاح نظرا لهيئته الفيزيولوجية.(1)

إن أسلوب السرد بضمير الغائب هوأحد الأساليب السردية الثلاثة التي تبنى عليها الرواية، ولعل هذا الضمير أن يكون سيد الضمائر السردية الثلاثة، وأكثرها تداولا بين السراد، وأيسرها استقبالا لدى المتلقين، وأدناها إلى الفهم لدى القراء. (2)

إن اعتماد الروائي أسلوب السرد بضمير الغائب كان ملائما جدا لرواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل"، مكن السارد من التنقل بحرية من الحاضر إلى الماضي القريب، لقد كثر استخدام الفعل الماضي مع ضمير الغائب مثل قوله: «... دينية فرغم أنه عاش هنا أكثر من أربعة عشر عاما(3)، تعلم العربية، وحفظ القرآن وخالط الناس، ووقف إلى جانبهم»(4)، فالأفعال الماضية هي: "عاش، تعلم، حفظ، خالط، ووقف"، (5)

بالإضافة إلى أنه حين يستخدم الفعل المضارع فإنه يستخدم غالبا منفيا بأداة النفي التي تغير زمن الفعل المضارع إلى الماضي يقول "سليمان": «لم تعجبه فكرة تحويل مخطوط قديم إلى لوحات، لم يرى في حياة تلك الكاتبة المسترجلة، فهولا يفهم سوى قليل من الفرنسية، وكذا

(1) عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، ص163.

(2)سعيد خطيبي: أربعون عاما في انتظار إيزابيل، ص23.

(3) الرواية: ص99.

(4) الرواية: ص12.

(5) الرواية: ص153.

الحد الأدنى من العربية الفصحى، لا يحفظ سوى صغار السور للصلوات الخمس»[1]، فالأفعال المضارع هي (لم ير، لم يفهم، لم يحفظ...)، وأيضا «هوكل ما أملك، هوأهلي وعائلتي، بسبب خصوماتي، ويوصله مباهجي الصغيرة»[2]، فضمير الغائب "هو" هنا ظاهر أننا نفهم من خلال سياق الكلام يقصد صديقه "سليمان" فهوعائلته وذكر الموقف الشهم لصديق حياته ووقفته معه، كما يأتي إحالة الضمير على أحد المواضيع تعرضت لها «شخصية الطفل الأشقر "أيوب" الذي ابن الحادية عشرة من العمر، الذي استدرجه مراهقان اثنان... لم تكن تلك المرة الأولى التي يحصل فيها أمر كهذا»[3]، يأتي السرد بضمير الغائب –هي– سلب الفعل من الشخصية وإخضاعه للوصف لا للأداء الآني، فقد استطاع "خطيبي" من الاستفادة من هذه الميزة وتدرجها في روايته كما يتجلى لنا في قوله: «هي كانت تشك في نفسها، في صدق علاقتها بالسماء ولكن لا أحد شك في انتمائها للإسلام... يوشوشن في أذان رجالهن بأنها جاسوسة»[4]، يسرد بضمير هي أي يقصد "إيزابيل" لها دلالة ربما على غيابها عنه وعن حياته، جعل جوزيف يروي عادات المناطق العربية التي تتشابه في كل البلدان، فالجميع يثرثرون ليل نهار ويحاولون أن يدسوا أنوفهم فيها لا يعنيهم.

2- الآخر عبر ضمائر السرد:

للآخر حضور قوي عن طريق النصوص السردية، يحيل إلى شخصيات، أماكن، أشياء... فتنسب إلى الضمير المشير لها، وعندما يتم السرد بواسطته تصبح المسألة أكثر إرباكا فال "هو" هو"الآخر" وفي عملية السرد نرى أن الآخر يسرد الآخر، وهذا ما يجعل ثنائية "الأنا والآخر" بشكل يبدو كاملا عن المشهد الظاهري لسيرورة العمل الروائي على سبيل المثال

(1)الرواية: ص14.

(2)الرواية: ص18.

(3)المصدر السابق: ص54.

(4)الرواية: ص130.

يتحول الـ "هو" في الزمن الحاضر إلى الـ "أنا" ويبقى الـ "هو" هوفي الزمن الماضي[1]، حيث تبرز الثنائية عبر تحول الـ "هو" إلى "أنا" أو إلى عدة أنوات يعبر الـ "هو" بأنوات مؤقتة وعابرة.

تناولت الرواية ضمير الغائب بقوة، مقابله يظهر ضمير المتكلم (أنا) الذي يوحي عن الذات، يبرز طرق ... وهو"الآخر" الذي يتحول مباشرة إلى ضمير الغائب فيقول: «يرفض التنازلعن ذكراها»[2]، يكتفي الراوي بالتعبير عن "إيلينا" بضمير الغائب المؤنث (هي) دونالتصريح به مباشرة، فيتحدث عن الأنا "عبد الهادي" الرافضة لنسيان الآخر (الفتاة الروسية "إيلينا").

وأيضا يقول: «..... تتهرب منهم "هي" وزوجها "سليمان اهني"، وتخفي وجهها عن أعينهم كي لا تدفع ما عليها من ديون...» [3]، يصرح الراوي بضمير الغائب هي يشير إلى "إيزابيل" فهي شخصية من زمن الماضي يتم استحضارها، رغبة من طرف الراوي ويقول أيضا : «... وأمرت هي بمغادرة الجزائر، خوفا من انتقام أهل المعتدي وقبيلته منها فهاجرت إلى مرسيليا مرغمة ثم عادت منها إلى الجزائر»[4].

فنراهم مثلا يتهمون "إيزابيل" بالشيطنة، أي أن هناك حقد اتجاه كل امرأة ناجحة من طرف الرجل العربي عامة، والجزائري خاصة، فما بالك بأجنبية أتت للجزائر وكانت مختلفة عنهم، وفي حديث دار بينه وبين ذاته يقول:"تمنيت لوقابلتها لما كنت شابا بين نهاية العشرينات وأواسط الثلاثينات من العمر... ستجعل مني شخصية ورقية في قصصها"، يؤدي بذلك إلى توظيف هذا الضمير الغير ظاهر (هي) بغرض استرجاع الحديث الدي دار في ذهنه رغبته في العودة لحياته الشخصية إلا أن الزمن مضى.

(1) صالح صالح: سرد الآخر (الأنا والآخر عبر اللغة السردية)، ص64.

(2) سعيد خطيبي: أربعون عاما في انتظار إيزابيل، ص116.

(3)المصدر السابق : ص34.

(4)الرواية: ص33.

كان موفقا "سعيد خطيبي" في إسناد الضمائر داخل بنية السرد بين تناوب أفكارها وموضوعاتها عبر (ضمير المتكلم، والمخاطب، والغائب)، رغم أن ضمير المتكلم يحتل نسبة أكبر داخل المتن الروائي بما فيه من بساطة وقدرة عالية على تعرية النفس من داخلها عبر خارجها من كشف النوايا أمام القارئ، تمكنا من الوصول إلى النتائج التالية:

1. لضمير المتكلم القدرة المدهشة على إذابة الفروق الزمنية والسردية، بين السارد والشخصية والزمن جميعا، يجعل المتلقي يلتصق بالعمل السردي ويتعلق به أكثر متوهما أن المؤلف فعلا هو أحد الشخصيات التي تنهض عليها الرواية.
2. أما بالنسبة لضمير المخاطب فإن الروائي استعمله لدوره في مساعدة القارئ للولوج داخل النص وربطه بعلاقة مع السارد والتوغل في متنه.
3. من خلال ضمير الغائب استطاع الروائي أن يمرر ما يشاء من أفكار وتوجيهات وأراء، كما يُجَنِبْ اصطناع ضمير الغائب الكاتب السقوط في فخ "الأنا" قد يجر إلى سوء فهم العمل السردي، وبذلك على الرغم من أن الكاتب المحترف يعنت نفسه في محاولة فصل "الأنا" الكاتب، كما يتيح للكاتب الروائي أن يعرف شخصياته وأحداث عمله السردي كل شيء.

خلاصة القول : أن استعمال الضمائر في عملية السرد الروائي هي مسألة جمالية غنية لا علاقة لها بالدلالة والجوهر لذلك كانت اختيارية لا إجبارية، فالشخصيات الروائية ما هي إلا كائنات رقمية.

ثالثا- أبعاد الهوية:

1- لغة: جاء في لسان العرب «قال ابن الأعرابي: هُوِيَّة أراد أهْوِيَّة فلما سقطت الهمزة رُدت الضمة إلى الهاء... وفي الحديث: إذا غرستم فاجتنبوا هُوِيَّ الأرض وهي جمع هُوَّة وهي الحفرة والمطمئن من الأرض»[1].

وفي المنجد «الهوية: (هو) ضمير للغائب المفرد المذكر، ويقال للمثنى (هما) وجمع المذكر (هم) ويقال للمؤنث المفرد (هي) وللمثنى (هما) وللجمع (هن)».

والهوية: حقيقة الشيء، أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاتها الجوهرية وذلك المنسوب إلى (هو).

والهو: هو لفظ مركب من هُوهُوَ، جُعِلَ، اسما معرفا باللام معناه: «الاتحاد بالذات»[2].

2-اصطلاحا:

يعد موضوع "مفهوم الهوية" من المواضيع المثيرة للجدل، حيث يذهب عدد من الباحثين في هذا المجال، إلى أن الهوية تخضع في تعريفها للعلم الذي يحقق فيها، وأن لكل علم تعريفه الخاص للهوية يختلف عن تعريفها في العلم الآخر، (كعلم النفس، وعلم الفلسفة والاجتماع...) وغيره من العلوم الإنسانية المختلفة.

في "علم النفس" تعرف الهوية على أنها: «كون الشيء نفسه أو مثيله من كل الوجود، الاستمرار والثبات وعدم التغيير».

وفي "الفلسفة" تعرّف الهويّة على أنّها: «حقيقة الشّيء من حيث تميّزه عن غيره وتسمى أيضا وحدة الذات».

(1)- محمد بن مكرم ابن منظور: معجم لسان العرب، دار الصادر، ط1، بيروت، لبنان، ص386.

(2)- مجموعة من الباحثين: المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، ط8، بيروت، لبنان، 2000، ص875.

أمّا في علم الاجتماع فلا يختلف مفهوم الهوية (Identité) عن ما سبقه من العلوم، فالهوية عنده "عملية تمييز الفرد لنفسه عن غيره، أي تحديد حالته الشخصية ".[1]

وتعدّ الهويّة في عرف حضارتنا العربية الإسلامية، «أنها جوهر كل شيء وحقيقته المشتملة عليه اشتمال "النواة على الشجرة وثمارها"... فهوية الإنسان أو الثقافة... أو الحضارة، هي جوهرها وحقيقتها، فإن هوية الشيء هي ثوابته التي تتجدد، تتجلى وتفصح عن ذاتها، دون أن تخلى مكانها لنقيضها، طالما بقيت الذات على قيد الحياة...»[2] إنها كالبصمة بالنسبة للإنسان يتميز بها عن غيره.

وهي خاصة بالمجتمع، الفرد والجماعة، هي موضوع إنساني خالص فالإنسان هوالذي ينقسم على نفسه، وهوالذي يشعر بالمفارقة والتعالي، بين ما هوكائن وما ينبغي أن يكون، بين الواقع والمثال، بين الحاضر والماضي، وبين الحاضر والمستقبل، فالهوية تعبير عن الحرية، الحرية الذاتية الهوية إمكانية قد توجد، وقد لا توجد.

تعدّ مسألة الهوية ذات تجل وجودي معيشي في الكثير من أبعادها، ونلتمس البعض منها في رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل""لسعيد خطيبي" ومن بين هذه الأبعاد نجد:

أ- البعد الوطنيّ :

يمثل الارتباط الجغرافي والوجداني لفئة من البشر بمنطقة جغرافية معلومة تجمع هؤلاءمشتركات تميزهم عن غيرهم "كالتاريخ، واللغة، والعرق، واللسان....".

---

(1) خليل نوري مسيهر العاني: الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، دار الكتب والوثائق العراقية، ط1، العراق، بغداد، 2009، ص42.

2 محمد عمارة: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دار النهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1999، ص06.

ويظهر ذلك في الرواية من خلال قوله «قربت بيننا حرب الجزائر، يوم وقفنا معا إلى جانب المجاهدين أو "الفلاقة" كما يسمونهم، نقلنا السلاح والرسائل وأوينا مناضلين وطنيين، جنبنا بعضا منهم السّجن»[1] يصرح بأن تبرهن الأنا عن وطينتها وتثبت ذاتها، على رغم من طمس العدوملامحها إلا أنها تسعى وراء اكتساب هوية وطنية جديدة.

ب البعد الديني:

إن الدين الإسلامي هوبمثابة دستور لأي مسلم عربي، وهومرجعيته التي يتكئ عليها وبالإسلام تنظم المجتمعات وتسير وفق قواعد الدين الحنيف حيث تبرز دلالات البعد الديني: تختلف علاقة الدين الإسلامي مع الديانات الأخرى كالمسيحية فالأول يقوم على المغايرة وليس على الضدية، وهذه العلاقة شكلت فهما خاطئا لدى جوزيف مما جعله مسيحي بنصف مسلم أي لا يميل إلى دين واحد ميلا كاملا، يتبدى حبه وإعجابه للإسلام واللغة العربية، يقول: «أعرض عليها ما تعلمته من لغة العرب، أرتل أمامها بعضا من صغار السور: قل أعوذ برب الناس... قل هوالله أحد... ولإيلاف قريش...» [2].

وفي موضوع آخر من الرواية تتمظهر لنا صورة "جوزيف" المعادي للإسلام، فقد أبدى استفزازه في حواره مع"سليمان" : «قبل أن تأكل أذكر اسم الله، كما لوأن تلك العبارة المقدسة.... لا أقول بسم الله قبل الشروع في الأكل ولا الحمد لله عند الانتهاء منه»[3]، يتبين تعلق سليمان بالعقيدة الإسلامية، إلا أن "جوزيف" لم يكن يسلم بها ويرى أن لا صحة لها.

ج. البعد الإنسانيّ:

يتجلى من خلال السعي إلى إسعاد البشرية بالتعبير عن قضايا ومشاركة همومها وآمالها وآلامها، والدعوة إلى التغيير من الأسوإ إلى الأحسن وهوالبعد أكثر بروزا، يتضح من خلال

(1) سعيد خطيبي: رواية أربعون عاما في انتظار إيزابيل، ص83.

(2) الرواية: ص31.

(3) الرواية: ص109.

شخصيية «خالتي ربيحة» التي كانت تركب ظهر بغلها، كل يوم، لتجلب الماء من على بعد ثلاثين كيلومترا لمدة عام كامل، كي تحمي أبناء الحارة التي تسكن فيها من "حمى التيفوئيد"»[1].

إنّ إيثار "خالتي ربيحة" وتضحيتها براحتها في سبيل مساعدة أبناء حارتها وحمايتهم من "حمى التيفوئيد"، ويظهر ذلك في قوله تعالى: «وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوكَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأولئِكَ هُمْ المفْلِحُونَ»[2].

كما تبرز مدى إنسانية "جوزيف" مع القطة وأبناءها الخمسة يقول: «أطعمت القطة البيضاء، السمينة والولود ...وجبتها بشراهة حتى القاع»[3].

رابعا- علاقة الشخصيات بالأمكنة:

يُعدّ المكان من أهم المحاورالمؤثّرة في إبراز فكرة الكاتب، وتحليل شخصياته النفسية، لأن إدراك الإنسان للمكان مباشر وحسي، وصراعه معه ما هوإلا تأكيد لذاته وتأصيل لهويته، فبقدر إحساس الإنسان بالمكان تكمن أهمية وجوده ولا نجافي الحقيقة إذا قلنا أن المكان يضيق بحياة الإنسان مثل الزمان تماما، لأن وجوده في المكان يستمر معه طول عمره، فلا تكتسب الذات أهميتها إلا من خلال تفاعلها مع المكان الموجود فيه، وقد أخذت هذه القضية حيزا كبيرا من حديث المفكرين والفلاسفة من أمثال "برجسون" و"نيوتن" و"أنشتاين" وغيرهم[4].

وتظهر أهمية المكان خاصة في تشكيل العالم الروائي، ورسم أبعاده، وذلك أن "المكان مرآة تعكس على سطحها صورة الشخصيات، وتكتشف من خلالها بعدها النفسي والاجتماعي، إنه

(1) سعيد خطيبي: رواية أربعون عاما في انتظار إيزابيل، ص47.

(2) سورة الحشر: الآية 09.

(3)الرواية: ص16.

(4) صبيحة عودة زعوب: **جماليات السرد والخطاب الروائي غسان كنفاني**، دار مجدولين للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2006، ط1، ص95.

يسهم في وسمها بمظاهرها الجسدية، ولباسها وسلوكها وعلاقتها بسواها فما أكثر التي يتمكن فيها الإطار البيئي المكاني من تحديد هوية المنتسبين إليه"[1]، كما يعمل المكان على التأثير في الشخصية وتحضيرها إلى اتخاذ موقف ما أو القيام بحدث ما دون آخر، يحددها الخط الذي تسير فيه من خلال اختيار الروائي الأوصاف التي سوف يلصقها بها، من هنا يمكن اعتبار الفضاء الروائي بمثابة بناء يتم إنشاؤه اعتمادا على المميزات والتحديات التي ... الشخصيات[2]، ومن خلال الرواية توصلنا إلى تحديد الملامح الداخلية والخارجية للشخصية ومدى ارتباطها بهذه الأمكنة، حيث تظهر هذه العلاقة في رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" كالآتي:

1- علاقة تنافر:

نقصد بهذه العلاقة عدم انسجام الشخصية مع المكان الذي تتواجد فيه والمتتبع لرواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" "لسعيد خطيبي"، يلاحظ تجلي هذه العلاقة بوضوح من خلال علاقة "جوزيف" بمدينة "بوسعادة" حيث نجده يقول: «كيف لفرنسي ميسور الحال يترك بيته المريح في الناحية الباريسية يتخلى عن حياة الترف المباحة ويزاحم مشقة العيش في المدينة... ربما أخطأت يوم قررت المجيء إلى هذه المدينة المعادية لنفسها»[3]، نلحظ من خلال هذا القول أن الراوي ينفر هذه المدينة لاسيما مع الوضع السياسي الذي آلت إليه البلاد.

فهذا الإحساس بالعدائية تجاه المدينة هي علاقة توتر وقلق، حيث نجد "جوزيف" ينعتها بدلالات الحقد والكراهية إذ يقول: «كان يجب أن لا أجد نفسي هنا في حفرة تحمل صفة

(1) عبد المنعم زكريا القاضي: **البنية السردية في الرواية**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، 2009، ط1، ص183.

(2) الشريف حبيلة: **مكونات الخطاب السردي مفاهيم نظرية**، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2001، ط1، ص44.

(3) سعيد خطيبي: أربعون عاما في انتظار إيزابيل، ص13.

مدينة»[1]، ويقول في موضع آخر: «لست متأكدا إذا كانت لدي الرغبة في أن أدفن في هذه المدينة»[2]، نستنتج من خلال ذلك بأن الراوي يعيش حالة استياء وصلت به لدرجة أنه لم يتقبل أن يدفن في هذه المدينة، ويقول في موضع آخر: «في صغري لم أفكر في الترحال ووجدتني مثلما أغادر صقيع مدينتي الشمالية وألجأ إلى هذه البقعة المتكاسلة والصادمة»[3]،

فبالرغم من أن "جوزيف" كان يكن لهذه المدينة مشاعر الحب والألفة إلا أنها مارست عليه ضغوطات فرضت عليه كراهية هذا المكان، كما جاء على قول الراوي : «الناس يترصدون كل حركة لشخص يعتقدون أنه لا ينتمي للمدينة... لا يقبلون لغير أبناء هذه البقعة أو الموالين لها بالعيش بهدوء نسبي فيها، هم يرفضون كل القادمين وكل المارين من الممكن أن يضعوني في سلة واحدة معهم وينفضوا أيديهم مني»[4]، كما نعتوه بالبراني على حد قول "عبد الكريم طيطي" «المدينة كلاوها البرانية»[5]، الملاحظ من هذا القول أن لسكان المدينة دور بالغ لما آلت إليه حالة "جوزيف" وعلاقته بهذا المكان، إذ نجد هذه المدينة ولدت مشاعر عداء وكره لديه.

كذلك نجد أن المسجد في الرواية كان له دور في حياة الشخصية "جوزيف"، حيث أسلم فيه ونطق الشهادتين، غير أن ذلك لم يمنعه من النفور منه وهذا ما يصوره المقطع الآتي: «لم أتقبل نبرة الإمام التي كانت ترتفع كلما كرر كلمة "اللهم" بقيت رافعا يداي وأنا أشتمه وأسبه في داخلي»[6]، صور لنا هذا المقطع عدائية "جوزيف" وعدم مقدرته العيش بالجزائر والصلاة بالمسجد بسبب حقد المسلمين تجاه غيرهم من الديانات.

---

(1) الرواية: ص17.

(2) الرواية: ص30.

(3) الرواية: ص33.

(4)الرواية: ص132.

(5) الرواية: ن ص.

(6) الرواية: ص92.

لقد شكلت مدينة "بوسعادة" حالة نفسية سيئة لدى "جوزيف"، فهذا الإحساس بالعدائية تجاه المدينة كان له حضورا بارزا في الرواية في حد ذاتها، فبالرغم من أن "جوزيف" قد أسلم وعاش بهذه المدينة، وما يكن لها من مشاعر الحب والألفة غير أن ذلك لم يمنحه من النفور اتجاهها.

2- علاقة انتماء:

ونقصد بها العلاقة التي يشعر من خلالها الشخصية بالانتماء لهذا المكان، الذي تحل وتتواجد فيه، والمتتبع لرواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" "لسعيد خطيبي" يلاحظ أن "جوزيف" رغم عيشه في هذه المدينة وتأقلمه مع سكانها لمدة طويلة إلا أن ذلك لم يمنعه من الحنين إلى وطنه "باريس" حيث نجده يقول: «أتذكر أياما مهمة في حياتي خصوصا لما كنت أتلقى "الأوسمة الشرفية" في "باريس"، "وسام صليب الحرب"، "وسام المناضل"، "وسام جوقه الشرف"، و"ميدالية الفارين" التي منحت لي تكريما لشجاعتي في الفرار من محتقل ألماني»[1]، يفصح لنا هذا المقطع شعور "جوزيف" بالاشتياق والحنين إلى وطنه، فرغم البعد إلا أنه ظل متمسكا بإنجازاته العظيمة التي حصل عليها هناك، حالة لحنين إلى الماضي هذه نابعة من الشعور لدينا بأن كل شيء قديم هوأحلى وهوشعور يحتوي الأنا عندما تفتقد وطنها أين كانت تشعر بالسعادة.

على الرغم من هذا الحنين والاشتياق إلى الماضي إلا أننا نلحظ أن هناك رابطَ محبة يجمع "جوزيف" بمدينة "بوسعادة" رغم الظروف التي واجهته وهذا ما يؤكده المقطع الآتي: «هذه المدينة الصهباء التي أقيم فيها منذ أربعين عاما أحبها مثلما أحبتها "إيزابيل" وغيرتي عليها تجعلني أعاتبها وأغضب منها»[2]، من خلال هذا القول نلحظ شعور "جوزيف" اتجاه هذه المدينة "بوسعادة" وما يكنّه لها من حب وألفة حيث أحبها وأحب ما تتمتع به من خصائص.

(1)الرواية: ص21.

(2)الرواية : ص89.

إن هذا الإحساس والشعور بالحب اتجاه هذه المدينة جعل "جوزيف" يشبه علاقته بها بمرض "ستوكهولم" حيث يقول: «علاقتي بها تشبه متلازمة "ستوكهولم" هي تقيدني وتمعن في الانتقام مني وأنا أتعاطف معها وأمعن في التودد إليها»[1].

إن بطل هذه الرواية تمثل مقدرته على الفعل، والسيطرة على مجريات حياته، إذ نجده شبه علاقته بهذه المدينة بمرض "ستوكهولم" الذي يصيب الفرد عندما يتعاطف مع من يكره، رغم الأوضاع التي تعاني منها الذات في هذه المدينة، إلا أنه يشعر اتجاهها بالشوق والحنين في حالة الابتعاد عنها حيث يقول: «فمن غير المعقول أن أغادر هذه المدينة المغترة بنفسها دون تذكار يعيدني إليها كلما اشتقت إليها في ضاحية باريس»[2].

وبناء على ما سبق يمكننا القول إنه على الرغم من الصراع الذي تعيشه الذات اتجاه هذا الوطن الجزائر وبالخصوص مدينة "بوسعادة"، التي عاش فيها قرابة أربعين عاما، وإحساسه بأنه منبوذ إلا أنه ظل منتميا ووفيا لها طول حياته.

3- علاقة حياد:

وهي تلك العلاقة التي تجمع الشخصية بالمكان لا بالقبول ولا بالانحياز، وعادة ما يكون فيها المكان مكانا ثانويا، وهذا ما تجسد في شخصية جوزيف، حيث استطاع في روايته "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" أن يتجاوز ثنائية "الأنا والآخر" فنظر إلى "الآخر" نظرة إيجابية قائمة على الحياد، وتجلى ذلك من خلال علاقة الشخصية بالمسجد الكبير، حيث يقول «تعلمت العربية على "شيخ البردعي" في المسجد الكبير، الذي نطقت فيه الشهادتين على اللوح وبالكتابة بالصمغ، علمني "الشيخ البردعي" بصبر وحنكة حروف الهجاء والأسماء

(1)الرواية: ص139.

(2)الرواية: ص144.

والأفعال، وكنت أدفع له نهاية الشهر ورقة 20 فرنكا يفرح بها»[1]، فبطل الرواية لا يبدي رأيه بهذا المكان لا بالتهميش أو الإلغاء، وهذه إشادة بسمات الآخر واحتفاءه بأخلاقه العالية.

ومما سبق نستطيع القول أن المكان في الرواية يكتسب أهمية كبيرة بالنسبة للسرد، ذلك لحظة وصفه مطول ودقيق، وكذلك عندما يؤسس مع الزمان والشخصيات فضاء الرواية بكامله.

خامسا- الذات في الرواية:

تعد الذات من أبرز المواضيع التي عالجها الروائي "سعيد خطيبي" في روايته "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" والتي تتضمن إشكاليات منظور الأنا للآخر، ومنظور الآخرللآنا، حيث طرحت إشكالية الهوية (عربية، غربية) حيث نسعى الذات إلى الدفاع عنها والحفاظ عليها.

فالرواية تغطي فترة أربعين عاما، حيث استعارت شخصيات حقيقية واستثمرتها فنيا ووضعتها وجها لوجه أمام شخصيات أخرى متخيلة، وكانت فترات ومسارات مفصلية في تاريخ الجزائر، من إرهاصات الثورة إلى الاستقلال... وصولا إلى العشرية السوداء، ما أدى إلى بروز الذات بحالات متعددة في الرواية وبحالات مختلفة.

حيث نلمس الأنا أو الذات في رواية "أربعون عاما في انتظارإيزابيل" لسعيد خطيبي كالآتي:

1- الأنا القلقة:

تكشف رواية "أربعون عاما في انتظارإيزابيل"، جانبا مهما من الشخصية ألا وهوالذات القلقة، حيث تبدو"الأنا" قلقة ومرتبكة في حيرة من أمرها، إزاء وضعها المزرى السائد حيث تفتقد للهدوء والسكينة، متشتتة الفكر في صراع بينها وبين الآخر، حيث تبدوالأنا في الوهلة الأولى في الرواية قلقة حيث يفصح لنا ذلك قول الراوي «ربما أخطأت يوم قررت المجيء إلى هذه

(1) المصدر السابق: ص27.

المدينة المعادية لنفسها ! لست مستعدا لإعادة سرد أربعين عاما من الشك والارتياب من الأسئلة الوجودية، فقد كنت دائما أطرح على نفسي السؤال نفسه لماذا أنا هنا ولست هناك؟ وأتجنب الإجابة... عن كل ما يمكن أن يشعرني بالندم على القرار»[1].يبدوأن الراوي غير راض عن نفسه، حيث يبدوعليه الندم في قبول عيشه في هذه البلاد.

كما يلخص لنا هذا المقطع حالة الراوي الكئيبة حيث يقول «هذه الغرفة الإسمنتية الضيقة، مهترئة الجدران، مشققة الزوايا الأربع، المطلية بالأصفر الباهت، المكتظة بأغراض قديمة... والقطع الفنية التي أكتب وأرسم فيها»[2]، حيث يوحي هذا المقطع بعدم استقرار الذات وأنه يعيش بمزاج متعكر في نفسه.

كما نجد الخوف والقلق يسيطران على الذات في هذه الرواية حيث يقول: «الخوف يُحتّم عليّ الكتابة، تدوين حياتي بسرعة، لعلي أنسى أو أخفف على نفسي حدة القلق في المستقبل القريب»[3]، فالراوي يشغل نفسه بالكتابة، لينسى مخاوفه لما قد يحدث بعد قرار الانتخابات، التي تميل فيها الكفة لحزب العدالة، التي وعدت أنصارها بتأميم ممتلكات الأجانب، وإعادة توزيعها عليهم بالعدل، فمصيره في هذه الحالة مرهون إما بالبقاء أو الرحيل، فبرغم من ندم الراوي وقبوله العيش في صحراء الجزائر غير أنه يرفض مغادرتها لأنه أنس العيش بها وألف الحياة بها، فهو يرفض مغادرتها كرها، حيث يظهر ذلك في قوله والمتمثل في : «سأكتب لأنسى أنني سأرحل من هذه الأرض قهرا»[4].

فهويأبى الرحيل عنها، خاصة أنه مرغما بذلك وليس طوعا.

(1) الرواية: ص12.

(2) الرواية: ن ص.

(3)الرواية: ص14.

(4)الرواية: ص15.

فالبرغم من أن الذات البارزة في الرواية هي ذات الشخصية الرئيسية والخاصة في الوقت نفسه بشخصية "جوزيف"، إلا أن هناك من شخصيات أخرى تقاسمه نفس الشعور، والمتمثلة في شخصية "سليمان" الصديق الحميم "لجوزيف" الذي يختلجه نفس الشعور والمتمثل في الخوف والقلق والارتباك، وهذا مايعرضه لنا هذا المقطع التالي: «حاله لا يختلف عن حالي، مضطرب وقلق، لكنه يخفي قلقه بتكرار الحديث عن نيته في إعادة صبغ البيت بالأبيض استعدادا لرمضان»، "فسليمان" لا يختلف شعوره عن شعور صديقه "جوزيف" غير أنه يخفي شعوره بتكرار الكلام لكي لا يزيد من إرباك وتوتر صديقه وذلك بحديثه عن شهر رمضان وكيفية استقباله له.

كما نجد الراوي "بطل الرواية" يمقت هذه المدينة بكل ما فيها حيث يقول: «يجب أن أرحل من هذه المدين العانس»[1]، فمن خلال هذا القول يبدوالبطل حزين متشائم جزاء الوضع الذي آلت إليه نفسه في هذه البلاد، وفي سياق آخر تصف الرواية الحالة النفسية "للآنا" القلقة التي أصبحت شخصية غارقة في أحزانها ومنطوية على ذاتها تعيش ألمها بصمت رهيب، حيث أصبحت تفتقد الأمان والاستقرار حيث نجده يقول: «منذ بضعة أيام، لم أعد أشعر بالأمان، ينتابني شعور بأن الأرض ستتحرك تحت قدمي في أية لحظة»[2]،

فالقلق والارتباك الذي يعاني منه "جوزيف" أفقده الشعور والإحساس بالأمن والاستقرار فهوقلق غير هادئ، حيث أصبح يسيطر على الذات ويؤثر عليها، كفقدانه وعدم رغبته في الأكل، واستسلامه وعدم رغبته بالكثير من الأعمال، وهذا ما يصوره المقطع التالي في قول الراوي: «فلا شيء آخر صار يغويني، ولا شيء تقريبا صار يصلح في جسدي المتآكل

(1) الرواية: ص16.

(2) الرواية: ص67.

وبالكاد صرت أشتهي أكلا معينا،...لا سلطة خضراء، ولا غيرها من الأكلات التي كنت أحبها، صارت تستهويني»[1].

ويتواصل قلق وتوتر الذات "الذات" في الرواية حيث يظهر ذلك من خلال قول الراوي: «القلق يرتفع وينخفض مثلما يرتفع وينخفض مؤشر الترمومتر... أشعر أن الزمن يتوقف ثم يعود للاستمرار...» [2].

إن دل هذا القول فإنه يدل على عدم ثبات القلق والتوتر الذي يشعر به "جوزيف"، كما نجد "الذات" في صراع مع الزمن فمرور الوقت مقلق لنفسية الراوي، وتمنى أن يتوقف لاتخاذ القرار وحسم الأمر في أمره.

وما يمكن ملاحظته عن هذه الشخصية أنها قدمت نفسها بصورة دقيقة عن طريق تقنية التشبيه التي أدت دورا هاما في إبراز الحالة النفسية لبطل الرواية.

يتنامى شعور "الذات" بالقلق والتوتر مع كل خطوة يخطوها في الرواية فكل الكلمات والعبارات تدل على ذلك ويظهر ذلك من خلال قول الراوي: «كل شيء يبدوغريبا كما لوأنني لم أعش فعلا في هذه المدينة الصامدة أربعين عاما»[3]، حيث يلخص لنا هذا المقطع حالة التيه والضياع التي كان يعاني منه بطل الرواية "جوزيف".

كما نلحظ أن الخوف والارتباك يغزوالذات في الرواية وبقوة، حيث أصبحت تحيى حياة مليئة بالقلق تعرف صراعات مع نفسها ومع الآخر.

(1) الرواية: ص45.

(2) الرواية: ص88.

(3) الرواية: ن. ص.

2- الأنا التائهة:

إلى جانب ذلك القلق والتوتر الذي تعيشه "الذات" في الرواية، حيث عرفت بأنها ذات قلقة تشعر بالندم والاضطرابات وعدم الاستقرار، إلا أن الرواية تصور جانبا آخر "للذات" مما جعلها ذات تائهة في اختياراتها لا تعرف وجهتها.

لقد استطاعت الرواية أن تصور جانب مهم من المعاناة التي تعاني منها الشخصية الروائية، والمتمثلة في ازدواجية الهوية وذلك من خلال الجمع بين الهوية العربية, والهوية الغربية وفي هذا الصدد يقول «أعيش بهويتين، بوجهين، الأول لفرنسي قروي قديم، خاض حربا عالمية، والوجه الثاني لجزائري دخيل شارك في حرب تحريرية»[1]، مما جعلها ذات تائهة تبحث عن طريقها لإيجاد نفسها.

وقد تجسدت هذه الصورة من خلال هذا المقطع: «فلا أنا جزائري كما يلزم لجزائري أن يكون، رغم "باسبوري الأخضر"، الذي سلمني إياه وزير الداخلية البدين والأقرع... ولا أنا فرنسي كما يليق بابن عائلة عريقة تمتد إلى قرون من الزمن»[2]، فالرواية تكشف جانب مهم في الرواية، حيث تكشف ذات "جوزيف" التائهة بين هويتين، فهويشك في انتمائه لهذه الهوية التي اكتسبها قانونيا، وتحصله على الجنسية الجزائرية بعد مكوثه مدة طويلة في الجزائر، كما يبين من خلال قوله أنه غير متأكد من انتمائه لفرنسا، ربما لتقصير من حقوق وواجبات اتجاه هذا الوطن.

يتنامى هذا الشعور لدى جوزيف في كل خطوة تخطوها حيث أضحت الأنا شخصية غارقة في أحزانها ومنطوية على ذاتها تعيش ألمها بصمت رهيب.

---

(1) الرواية: ص 88.

(2)الرواية: ص91.

والجدير بالذكر أن هذا الإحساس بالتيه لدى "جوزيف" جعل الأمور تختلط بالنسبة له ما جعله عاجز عن فهم ما يدور حوله حيث يقول «الآن أعتقد أني لم أفهم الشيء الكثير مما يحدث في هذا البلد فقد عشت فيه أربعين عاما بما يكفي لأفهم أحشاءه وما خلف أحشاءه وما يكفي لأدرك ميوله، لكن في النهاية وجدت نفسي عاجزا على تفسير ما يدور حولي»[1].

وقوله أيضا: «فالأربعون عاما التي قضيتها في هذه المدينة لم تنفعني في رؤية الأشياء على حقيقتها»[2].إذ يبدوأن الذات في هذه الرواية في حيرة من أمرها، حيث نجد أن "جوزيف": تائها بين هاتين الهويتين.

لقد صورت الرواية جانب مضمر جد مهم، يتمثل في شخصية "إيزابيل إيبرهارت"، حيث من خلالها اكتشف ذاته من جديد، حيث عمل على نقل نصوصها في لوحاته الفنية، وربما هذا ما جعله تائها في حسم قراراته.

إن العيش بهويتين لدى "جوزيف" جعل منه شخص تائه في قراراته، فهومن جهة يمارس الطقوس الدينية الإسلامية ومن جهة أخرى يمارس الطقوس المسيحية حيث يقول «أصلي صلوات سريعة وقلقة، أدعوالرب أن يجنبني أنا وسليمان كل مكروه، ثم أرسم إشارة الصليب وأخرج مهرولا... فأنا أدخل الكنيسة وأخرج منها خفية...» [3].

كما نجده في مقطع آخر يقول: «لست متأكدا إن كنت لدي الرغبة في أن أدفن في هذه المدينة الفضة والجاحدة... ولكن إن حصل واقترب فراق روحي عن جسدي، سأطلب من "سليمان"أو من سينوب عنه لحظة احتضاري، سوى شيئين اثنين: أن يكتب على شاهد قبري اسمي الحقيقي: جوزيف ريتشارد...» [4]، من خلال هذا المقطع نجد أن ""جوزيف" مازال

(1) الرواية: ص94.

(2)الرواية: ص95.

(3) الرواية: ص52.

(4) الرواية: ص93.

يؤدي الطقوس الدينية ولم يتخلى عنها، كما لم يتخلى عن اسمه الأصلي، رغم اعتناقه الديانة الإسلامية، كما يظهر أن الذات تائهة حتى في اتخاذ قراراتها، واختلاط الأمور عليها وهذا ما يصوره المقطع الآتي: «هل أساند الشباب الغاضب أم الرئيس، الذي يشارك في الثورة على الاستعمار؟... اختلطت في ذهني الصور، كما لوكنت تائها في أرض لا أعرفها... لم أعرف أين هوالحق وأين هوالباطل...» [1].

فمن خلال هذا القول, يظهر أن بطل الرواية تشل مقدرته على الفصل حتى في اتخاذ القرارات الحاسمة، والسيطرة على مجريات حياتهّ، مما جعل الذات تائهة في أمرها.

إن العيش بهويتين تولد عنه ذات تائهة قلقة، مشوشة في تفكيرها، أفقدها الكثير من الهدوء والاستقرار مما جعلها تعيش في مفترق طرق بين هاتين الهويتين، حيث نجد جوزيف في هذه الرواية تائه لم يتأكد من هويته إن كان عربي أو غربي، إذ كان نصراني أو مسلم تائه بين هذا وذاك، أي أنه في حيرة من أمره إذ لم يعرف وجهته وانتسابه الحقيقي.

سادسا- علاقة الذات بالزمن:

يمثل الزمن محور الرواية وعمودها الفقري الذي يشد أجزاءها، كما هومحور الحياة ونسيجها من جهة، ولأن الرواية لا يمكن أن تقوم إلا به من جهة أخرى فبواسطة الزمن يسرع الكاتب الزمن أو يبطئه، «يرتبط الزمن ارتباطا وثيقا بالذات الإنسانية، ويتميز بصيرورة ذاتهإذ يعد مظهرا فنيا يتجسد له من خلال ما يتسلط عليه بتأثيره الخفي غير الظاهر»[2]، فالزمن هوخيط وهمي مسيطر يدخل في التركيب الداخلي للذات ويعمل على تغيرها على الدوام حتى يكتمل شكلها الذي يريد الروائي تقديمه للقارئ.

1- الزمن في الرواية:

(1) الرواية:ن ص.

(2) عبد المالك مرتاض: نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، 1998، ص173.

عندما ألقينا نظرة حول رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" وجدنا أن "سعيد الخطيب" اعتمد فيها على تقنية المفارقات الزمنية بكثرة ,"les Amochronies". التي تتحقق عبر وسيلتين "الاستباق" و"الاسترجاع""الداخلي" و"الخارجي"، تقول "مها القصراوي": «إن المفارقات الزمنية تعني انحراف الزمن السردي حيث يتوقف استرسال الراوي، المتنامي ليفسح المجال أمام الفقرات باتجاه الخلف أو الأمام على محور السرد، فقد تجد في بداية الزمن السردي مؤشرا زمنيا يشير إلى حدث حكائي ما بعد ترتيبه الأخير في التتابع الحكائي»[1].

2- الاسترجاع: "Analepsis"

الماضي لا يقرر الحاضر والمستقبل بقدر ما هوالواقع الوحيد، ولكونه ماضي فلا يمكن مسه وهذا ما يجعل منه قدرا، إن تحطيم الترتيب الزمني هوالنتيجة الأكثر وضوحا للانتقاص من الحاضر والمستقبل لصالح الماضي، وبطبيعة الحال فإن مثل هذا الانتقاص يتم لأن تحطيم الترتيب الزمني غالبا ما يأخذ شكل العودة إلى الوراء إلى الذكريات أو الأحداث التي تركت أثرا على نفس الشخصية[2]، فالرواية لا تسير بخط زمني واحد انتقالا من الماضي إلى الحاضر ثم المستقبل، لأن الأحداث في الرواية لا ترتب كما حدثت على أرض الواقع وإنما يكسر الخط الزمني من خلال استخدام تقنيتي الاسترجاع الداخلي والخارجي.

(1) مها حسن القصراوي: الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2004، ص100.

(2) أحمد حمد النعيمي: إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان,ط1 , 2004، ص32.

وحسب ما يرى "حسن بحراوي"«فإن كل عودة إلى الماضي تشكل بالنسبة للسرد استذكارا يقوم به لماضيه الخاص، ويحيلنا من خلاله على أحداث سابقة عن النقطة التي وصلتها»[1].

فأهمية الاسترجاع تكمن في تخليصه من الرتابة، يحقق التوازن الزمني في النص، ويكثف عن عمق التطور في الحدث والتحول في الشخصية بين الماضي والحاضر.

ا-الاسترجاع الخارجي: "external Analepsis"[2]

هوالعودة إلى ما قبل الرواية أي الرجوع إلى أحداث الماضي التي قبل بداية القصة.

ونجد الاسترجاعات الخارجية في الرواية كثيرة جدا، نذكر البعض منها وهي الآتي:

نلحظ في هاته المقاطع أن الكاتب خصص الفقرات التالية لرجوعه بنا إلى أحداث طفولته الماضية، لنراه في المقطع الأول (في صغري، لم أفكر في الترحال، ووجدتني مثلها أغادر صقيع مدينتي... آمن القدر بي) [3] يذهب بهذا المقطع بذاكرته ليتحدث عن طفولته وعن القدر الذي فعل به، ولم يتوقعه وقدومه على الجزائر (بوسعادة) تلك المدينة الصهباء التي تنكرت له بحسب قوله، في حين -كما أو رد هذا المقطع- استرجاعه لمراهقته (أولى الخسائر في حياتي كانت أمي "آنلور"، تلك المرأة الدافئة.... أدركت قيمتها) [4]، خسر "جوزيف" أمه "آن لور" مرتين يوم رفض العيش معها، والخسارة الكبرى يوم توفيت ليخسرها نهائيا، وخصص هاته الفقرات ليتحدث عن أو ضاع عائلته في أو ل الأمر ذكر والده "شارل

(1) حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء- الزمن- الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990، ص121.

(2) لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية (عربي، انكليزي، فرنسي)، مكتبة بيروت، ناشرون، لبنان، ط1، 2002، ص9.

(3) سعيد خطيبي: أربعون عاما في إنتظار إيزابيل، ص33-34.

(4) الرواية : ص77.

الذي مات في حادثة مرور وهوفي سن الرابعة عشر، وإخوته الذين تنكروا له: "أوليفي"، "أغات"، "بريجيت"، كما ساعدنا في تحديد مدى هذا المقطع.

جاء "جوزيف" للجزائر في شتاء 1952، وبعد عشر سنوات توفيت أمه سنة 1962 أي عاش مع أمه خمسة عشر عاما، وهجره لها وهومراهق يبلغ من العمر خمسة عشر أخرى، أي عند قدومه للجزائر كان يبلغ ما يقارب ثلاثين سنة، فإن سنة ميلاده كانت 1922، فقد هجر أمه 1937 أي أنه هجرها مدة خمسة وعشرون سنة في بلاد بعيدة عنها، والمدة التي قضاها في الجزائر أربعين سنة والعمر الإجمالي سبعين عاما وكل هذا ساعدنا على تحديد المدى والسعة بدقة.

يقول: "يشبه حال "إيزابيل"، فالموت لم يكن يخيفها... أنا حملني وادي الانتظار"[1]، ذكر البطل في هذا المقطع أحداث ماضية. وماضي"إيزابيل" ورجع بنا بالذكريات إلى حوالي القرن ليتحدث عن أنفتها وعدم خوفها من ما يحيط بها، حتى المنية لم تكن تخافها، ويذكر أنها ماتت ميتة وحشية، هشم الطوفان أضلاعها، ومزق روحها عام 1904، وجاء قوله أيضا: على مدخل الزاوية، ما تزال اللافتة الخضراء نفسها معلقة كتب عليها "أدخلوها بسلام آمنين"[2] تأسست "الزاوية الريحانية" أيام حكم الاحتلال الفرنسي، وذلك بدعم من "الأمير عبد القادر" لها برسائل تشجيعية، فقد ظلت مرافقة وفية للحرب التحريرية، استمرت كحلقة للسلم والتفاهم ضد الاحتلال الغاشم، وأيضا: «فأنا لم أفكر يوما في الحرب، لكن وجدت نفسي متورطا فيها... بالسكين والمسدس وبالرشاش "المات 49"... سنوات ثورة الجزائر... تماما مثلما حصل مع إيزابيل... علمها وزهدها»[3]، فالبطل لم تكن له الرغبة غب الالتحاق

(1) الرواية : ص107.

(2) الرواية: ص67.

(3)لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، ص09.

ضمن الصفوف الحربية بل كان مجبرا على ذلك، وقتله لأناس لا يعرفهم في فرنسا والجزائر، ويحكي لنا عن إيزابيل التي قتلت رجالا بهجرانها لهم وكادت أن تقتل بطعنة سيف ذات يوم.

ب- الاسترجاع الداخلي "internal Analepsis"[1]: وهوالذي يستعيد أحداثا وقعت ضمن زمن الرواية، أي بعد بدايتها وذلك باستشراف مستقبل هاته الأحداث.

ومن الاسترجاعات الواردة في الرواية قوله:«شهدت الحرب العالمية الثانية، صافحت الجنرال "شارل ديغول"... عرفت "حرب الجزائر"... رد العرب عام "1973"، "خطابات هواري بومدين"،... وحياتي مع سليمان بحميمياتها ونزواتها»[2]، السارد قام بعملية إيراد ما شهده من أحداث تاريخية تم إهمالها سابق، بداية "حرب إسرائيل"، مرورا بمظاهرات "8 ماي 1968"، "حرب العرب" و"خطابات بومدين"، و"حرب الخليج "الأولى" والثانية"، «فقد وهبت عمري، بعد الحرب، للحفاظ على علاقتي بسليمان وتربية القطط والرسم... بدعوة من شاب سيصير رفيقي وشريك وجودي»[3]،

فقد أعاد البطل مرة أخرى ذكر أحداث سابقة، وهووصوله غلى هذه المدينة، بدعوة من صديقه سليمان وقبوله العيش معه في بلده، وقول: «فتقريبا سأرحل، وسيندمون عما راودهم من سوء ظن تجاهي واتجاه سليمان، كما ندموا على وشايتهم في حق إيزابيل في الأزقة والحارات صارت لا تحتمل وقع أقدام الغرباء»[4]، تحدث جوزيف عن اقتراب موعد رحيله من مدينة بوسعادة وعودته إلى ضاحية باريس، وندم أهل المدينة عن سوء الظن اتجاه إيزابيل.

(1) الرواية : ص32.

(2)الرواية : ص30.

(3)الرواية :ص14.

(4)الرواية: ص132.

3- الاستباق: Anticipation:

بعد الاستشراف أو الاستباق تقنية على مستوى السرد الروائي، حيث تعدد تجلياته وسياقاته يلعب دورا محوريا في خلخلة الزمن، يدل على كل حركة سردية تقوم على أن يروي حدثا لاحقا، أو يذكر مقدما، فإنه يعتبر تطلعا باتجاه المستقبل، فهورؤية تعكس منظور الراوي أو الشخصيات.

يوظف الاستشراف باعتباره وسيلة سردية، ويكون الغرض منه «مخاطبة المتلقي بدمجه في الحكاية وتشويقه غلى متابعتها، فالاستباقات حين تحدث تحل محل نوع التشويق من سؤال (ماذا سيحدث بعد ذلك؟)، عن طريق نوع آخر من التشويق، وهوالتكهن بما سوف يحدث في المستقبل قبل وقته»[1]، والاستشراف نوعان: الاستباقات الخارجية والاستباقات الداخلية.

أ- الاستباقات الخارجية: Extrnal Anticipations

هي التي تسرد أحداث قبل بداية الرواية، وتظهر هاته الاستباقات جليا كالآتي:

تعمد جوزيف استعمال مصطلحات دالة على المستقبل البعيد لقوله: «لومت في هذه المدينة، التي تفوح منها رائحة الوسواس... مصيري شبيه بمصير إيزابيل»[2]، تخوف جوزيف من موته الذي من الممكن أن يكون مشابه لموت إيزابيلأو أسوء منها في هذه البلاد كجثة بلا هوية، ويوصي صديقه "سليمان" في دفنه بمقبرة "عين الصفراء" ولاية "النعامة" بجانب قبر الراحلة الرومية، عله يلتقيها تحت التراب، قول السارد :«سوف أكتب رواية أرد فيها على ادعائه، وأصحح فيها بعض أخطائه، فقد كان لا يكتب سوى لغرض واحد: هوتحريك شهوة الفرنسي الكسول... أعرف أنني لست جيد في الكتابة... إنصافا "لبنات أولاد النائل" الرفيقات

(1) شلوميت ريمون كنعان: التخييل القصصي (الشعرية المعاصرة)، تر: لحسن حمامة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، 1995، ص76.

(2)الرواية: ص102.

الوديعات والمحبات للأجنبي ولابن البلد»، يتوعد البطل جوزيف بكتابة الرواية الحقيقية "لخضرة بنت الطاووس"، ردا على ادعاءات "إتيان دينيه" التي جاءت في القصة والتي مرغها في شهواته المقززة والظالمة بحق هذه القبيلة. (1)

يطمح جوزيف بكتابة الرواية "لخضرة بنت الطاووس"، ردا على ادعاءات "إتيان دينيه"(*)

وقوله أيضا: «لست أتخيل خضرة سوى شابة ممتلئة أملا، طويلة القد، وبيضاء البشرة، تشبه "إيزابيل إيبرهارت"... أفضل من ذلك الرسام الباريسي فقير الحس والخيال»(2)، فهولم يتخيل خضرة سوى ابة تشبه إيزابيل، وتمنى السارد لوإيزابيل كتبت هذه الرواية، فهي كانت تكتب بأمانة أفضل من فقير الحس إتيان دينيه، يقول أيضا «سأرسم لوحتين أخيرتين ليوميات إيزابيل إيبرهارت، وأردمهما في حديقة البيت، بين الكرمة وشجرة الليمون، وسأفعل الشيء نفسه... فقريبا سيدرك أني عشت لأرسم وأدفن فني، وأن ثقتي كبيرة في أناس يأتون من بعدي.... يأكلون منها خبزا حلالا»(3).

نلحظ أن الاستباق ذكر في الأولى، وأعاد الكاتب ذكره في نهاية الرواية، ما يعرف بالنسق السردي الدائري حيث تبدأ الأحداث من حيث انتهت إليه، يقول «لم ينتظرني أحد في المطار

---

(1)المصدر السابق: ص46.

(*) تعريف ألفونسواتيان دينيه: ولد ألفونسواتيان دينيه في باريس يوم 28 مارس 1861، من عائلة يرجع أصلها إلى مقاطعة "لورايه" وكان أبوه محاميا لدى محكمة "السين"، وكان جده المهندس ابن وكيل الملك في "فونتان بلو"، أما أمه "لويزماري آدل بوشيه"، فقد كانت أيضا ابنة محام، بعد دراسته الثانوية التي توجت بحصولة البكالوريا، قبل في مدرسة الفنون الجميلة بباريس، ولدى تخرجه منها فاز بوسام شرفي، في عام 1883 تحصل على درجة الشرف بلوحته "صخرة صامو"، وقام برحلته الأولى إلى الجزائر، وفي عام 1884 منحه صالون قصر الصناعة وساما ثالثا، كما أعطاه منحة أتاحت له أن يقوم برحلة ثانية إلى الجزائر وهكذا ذهب في سفرة طويلة حتى وصل إلى ورقلة والأغواط، وفي عام 1889 منح الوسام الفضي في المعرض العالمي المقام في باريس، وتعرف إيتيان في نفس السنة على شاب جزائري يدعى سليمان بن إبراهيم بن عامر ومنذ ذلك الحين صار يشاركه في كل مجالات حياته الفنية والفكرية، واعتبارا من عام 1905 استقر دينيه نهائيا في بوسعادة.

(2)الرواية: ص51.

(3) الرواية : ص156-157.

بباريس، ولن أجد واحدا من الأقارب ليساعدني في الاندماج مجددا في الحياة... الثقة في حالة سيئة»[1]، يتحدث عن الغربة التي سيلاقيها هناك، فأربعين عاما قضاها هنا في الجزائر كانت كافية بأن تغير كل شيء فالجانب الآخر من الضاحية الباريسية تغيرت النفوس أيضا ولم يبق شيء على حاله، فقط سيصبح شخصا منسيا من طرف أقاربه.

ب- الاستباقات الداخلية: Internal Anticipations

يتجاوز حدود الرواية، وضمن إطارها يظهر جليا في الرواية وفي مواقع عديدة، منها: «إن حدث ومت هنا فلا خياري لي سوى المقبرة السنية هي أكبر المقابر الثلاث... لست متأكدا إن كانت لدي الرغبة في أن أدفن في هذه المدينة الفضة والجاحدة»[2].

ويقول أيضا : «لومت غدا فلن يجدوا سقطات مهمة ليتداولوها علي، فلست سوى فرنسي تافه، قرر أن يساير حماقاته ويعيش في هذه البقعة الموبوءة بالخلافات العقلية»[3].

وتبين من خلال ما تقدم أن الاسترجاع والاستباق الزمني تعد عصب المفارقة الزمنية في العمل الروائي، فمن حاضر السرد يتم الرجوع إلى الخلف في حركة استرجاعية عبر الذاكرة والذكريات، وحركة الاستشرافية إلى الأمام والحلم والتوقع، وكلا الحركتين تتطلبان وقف السرد لإثارة الماضي، واستحضار الآتي، ونلحظ

أن رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" أغلبها قائمة على استرجاع أحداث مضت وانقضت، وقد امتد بالاسترجاع إلى صفحات طويلة في الرواية، ويأخذ الحيز الأكبر من السرد باعتباره يثير الماضي ويمنحه استمرارية الحضور، عكس الاستباقات التي وظفها

(1) آسيا علي محمود: التعالق السردي بين القصة القصيرة والقلم الروائي، مجلة كلية التربية الإسلامية، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، المجلد 25، العدد 103، 2019، ص253.

(2) الرواية: ص29-30.

(3) الرواية : ص24.

السارد بصورة قليلة لا نعقل عن إشارة إليها، فهي تأتي بين الاسترجاعات لتؤكد خلخلة الزمن السردي وأحداثه والتخلص من رتابته، فيصبح السرد يسير بشكل منقطع بين نسق صاعد وآخر هابط، استرجاع للماضي واستشراف المستقبل.

سابعا- الصراع داخل الرواية:

إن صراع الأنا والآخر مسألة قديمة قدم الفكر البشري، ولكن هذه المسألة زادت حدتها وأصبحت أكثر حضور في خطابات الهوية والانتماء الخاص بكل إنسان، فما كانت الأنا إلا مرآة للآخر، والآخر بدوره مرآة للأنا، في رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل"، سنتطرق إلى نوعين من الصراع:

1- صراع الأنا والأنا (غير مباشر):

إن الحديث عن "الأنا" يستدعي حتما الحديث عن الآخر، إذ لا يمكن إلغاؤه، «وتجاهل الصراع الذي يحصل ين "الذات" و"الغير"، فالآخر حاضر وبكيفية وجودية أنه يشكل أفقا للذات أحيانا وجزءا من النظرة إلى الذات»[1]، فاحترام الآخر والقبول به هوأول خطوة للتعايش بين طرفي الثنائية.

وعند قراءتنا لرواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" نجد أن هذا النوع من الصراع الأنا مع ذاتها، قد غلب على صراع الأنا مع الغير، وما نفهمه من قراءة الرواية هوأن الراوي يسترجع أحداثا كانت جزءا من حياته نجده يعاتب ذاته على رحيله للعيش بالجزائر وتركه لبلده فرنسا، يقول «كنت دائما أطرح على نفسي السؤال نفسه: لماذا أنا هنا ولست هناك؟.... يشعرني بندم على القرار»[2].

(1) نهال مهيدات: الآخر في الرواية السنوية العربية (في خطاب المرأة والجسد والثقافة)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، (د.ط)، 2007، ص37.

(2)الرواية: ص13.

كما يسترجع لنا حياته مع أمه ان لور وخسارته لها نهائيا «أول الخسائر في حياتي أمي، تلك المرأة الدافئة الوقور... خسرتها يوم هجرتها»[1].

وخسارته الثانية لجارته "شنتال"، "أنجليك"، وإخوته: "أوليفي"، "بريجيت"، "أغات"، جاء في قوله: «من المؤكد أن لا أحد سيتعرف علي لما سأعود، بما في ذلك أنجليك، اللطيفة التي عرفتها كممرضة لومازالت حية فإنها لن تتعرف علي، أختي وأختاي الذين انقطعت عني أخبارهم، وأناس قريتي الأصلية...» [2]، فهويحن إلى الماضي، كل هذه الأحداث كانت في قالب الصراع، نجد الراوي وهويصارع ذاته «في داخلي، كان صوت يرتفع ويعارض غضبي كما لوأنني في لا وعي»[3].

وجاء في مقطع آخر "شعرت نفسي "غبيا" أو "شخصا غير مرغوب فيه، لم أفهم لماذا كل الأصوات المضطربة والمتزاحمة، بداخلي، صعود في لحظة واحدة من الباطن إلى الأعلى، وزادتني قلقا وتوترا.[4]" تتجلى العديد من الصراعات التي أثقلت كاهلي إضافة إلى الصراعات الأخرى هوصراعه مع ذاته من أجل الوطن الذي عاش فيه بين أن يبقى في الجزائر التي حارب من أجلها أو يعود إلى فرنسا التي حارب ضدها. فيقول: «الخسارات أكبر من الانتصارات في هذه البلد، لم أحقق الشيء الكثير...يبقى على أتحملها، وأفكر في نقلها معي أيضا في طريق العودة إلى الضاحية الباريسية» [5].

فالراوي يرى :"أن الزمان نسيه وقد تفنن في رسم ذكرياته، أيضا تفنن فيه كشخص فجعله يكبر، وكأن عجلة الزمن سبقته وأدارت له بظهرها كما وهرمت الأجساد المهاجرة ليست في

(1) الرواية : ص77.

(2) الرواية: ص141.

(3)الرواية: ص55.

(4) الرواية: ص137.

(5) الرواية: ص106.

كامل عافيتها ولا عنفوانها بل وباتت في الردح الأخير من العمر فتقول "إنها عجلة الزمن المائلة وغير السوية، التي صارت تدور كما يحلولها، دونما تبين لنا أو تبحث عن سبب لتطلب من الاختيار، بين الشيء والأسوأ، يحمل أجسادنا وسافر بها، داخل الجغرافيا وخارجها وقليلا ما تنتبه أن للأجساد صلاحية، تنتهي بنهاية الأسباب التي تدعونا للهجرة وللنّفر في ملذات الرّوح وشقائها"[1]، نرصد في شخصية نصية لا تمثل الآخر الغربي بقدر ما تمثل صورة صراع الأنا الأخرى الأصلانية التي يمثلها "سليمان" الصديق الروحي "للحاج جوزيف" وتقديم "سعيد خطيبي" تمثل لهذه الشخصية مبرره الضمني وهوأن الفرد الذي يقبل بدونيته لأنه لن يستطيع تفكيكها بعدها قدره المسلم به يقول: «لم يحصل على بطاقة فجاهد مثل بقية الرفاق الآخرين ولا معاشا ولا مساعدة مالية بسيطة من طرف الدولة، بسبب وصف أحد قادة المجاهدين له بـ"المخنث"، بعدما إستفزه لطف سليمان المبالغ في رخاوته أحيانا وعدم قدرته على الدفاع على نفسه» [2]، الدليل أن سليمان رضي لمدة أربعين سنة أن يعيش في الظِّل لا يطالب بحقوقه الشرعية، لم يبدِ رغبته أبدا في الخروج من حياته البائسة، من خلال قبوله الشعور بالدونية التي آمن بها.

نستنتج أن صراع الأنا مع ذاتها هوصراع قائم على الخلاف والتوتر حيث تشتد النزاعات وتتلون بين السر والعلن، في مجابهات صريحة وخفية تهوي السيادة والقيادة، ولا تأبى الخنوع والدونية.

2- صراع الأنا والآخر:

تعد ثنائية الأنا والآخر من أبرز الثنائيات، التي تربطها علاقة جدلية لا يمكن إلغاؤها ولا تجاهلها إذ أن طبيعة الحياة أن تقيم هذه الثنائية وتجعل كل شطر منها شرط لوجود الآخر وفهمه ووعيه والاعتراف به، فهما طرفان متصلان ومنفصلان، متحدان ومفترقان في الوقت

(1) الرواية:ص106.

(2) الرواية:ص83.

نفسه، لحل إشكالية الثنائيتين لابد أن نرتقي بإنسانية الإنسان "فتتبني قيما حضارية أنجزتها الأمم جميعا مما يؤسس لمد جسور التفاهم بين الشر بعيدا عن الهويات القائلة إذ يحدث الانفتاح على العالم الخارجي (الآخر) مثلما يحدث على العالم الداخلي أن يفضل قيم إنسانية خالدة (الخير، الحب، العدالة..."[1]

تحفل الرواية بثنائية الأنا والآخر، فكيف تتحد العلاقة بينهما؟ هل هي علاقة حوار واتصال؟ أم هي علاقة صراع وانفصال، وهذا ما يتكشف لنا في أغوار رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل".

نلحظ في الرواية ومن خلال شخصيتي جوزيف وإيزابيل "تقارب الرواية إشكالية المنظور بين "الأنا والآخر علاقة مركبة بينهما، التي تشير إلى القلق والحيرة بازدواجية التشابه والاختلاف التي تجمعهما، حتى اكتشف شخصية "إيزابيل" كأنه اكتشف نفسه، واكتشف روح الانسجام والتوافق في ذاتهما يقول "أربعون عاما قضيتها في التسكع، في معاركة نفسي وفي البحث عن وجه لي، أربعون عاما مرت ونار الانتظار تلتهم قلبي ببطء....عاشت بجنونها وشغفها حتى الأربعين"[2] فألهمه ذلك عشق شخصيتها ونصوصها وذاتها، كما استلهم منها شغفها بالحياة، استلهم منها منظورها النقدي للظواهر والتحولات دون عنصرية، من خلال هذا العشق والتشابه في الشخصية بينها اكتشف ذاته من جديد، العمل على نقل نصوصها في لوحاته الفنية، ليرتبط لاحقا، على سبيل الصدفة بكتابات إيزابيل إيبرهارت، بعدما عثرت على مخطوط نادر لها في بيت المرحوم سي مصطفى، الموظف السابق في دار البلدية[...] سهت عنه المطابع دققته، ثم قمت بتحويل ست فصول منه إلى ست لوحات تشكيلية[3]، نجد نقاط التماهي بين كل من جوزيف وإيزابيل، كأن هناك خيط واحد يربط بينهما، يجعل كلا

(1) نيهال ميهدات: الآخر في الرواية النسوية العربية (في خطاب المرأة والجسد والثقافة)، ص38.

(2) الرواية : ص95.

(3)الرواية: ص14.

منهما يفهم الآخر ويعرفه جيدا، قد يكون بسبب تجربة الترحال لكل منهما والاستقرار بنفس المكان يقول «إيزابيل كانت صورة مؤنثة مني، نصرانية متأسلمة، قلقة وملعونة لا هي أو روبية ولا هي عربية» لا تربطه أية علاقة فعلية معها ترى تشبيه نفسه بها في الأوروبية والاغتراب في صحراء جزائرية.يقول أيضا: "لقد هجرت بلدي، ولم أعد أعرف عنه شيئا مثل "إيزابيل" التي لم تعرف شيئا عن بلدها الأصلي روسيا"[1].

كما تتقاطع حياة كل من "إيزابيل" و"صافية كتو" في نقاط كثيرة، فكلاهما عاشتا خيبات ومغامرات عديدة، يقول:سمعت أن شابة انتحرت ودفنت بالقرب من قبر "إيزابيل" قرأت في جريدة "الحزب الوطني" أنها تدعى "زهرة" كانت توقع قصصها وقصائدها باسم "صافية كتو"... في لحظة كانت تمتلئ فيها أملا وثيقا"[2]، وأيضا شخصية "لالة سعدية" التي كانت تشبهه شخصية إيزابيل كانت تتحول في أي لحظة من امرأة إلى رجل ومن رجل إلى امرأة مكتملة المفاتن، يقول :كلما اقترب منها رجل ليعتدي عليها خرج له سي محمود" من جسد إيزابيل النحيف، سي محمود ذوالأظافر الطويلة الوسخة... تتحول في أي لحظة وبسهولة من امرأة إلى رجل ومن رجل إلى امرأة"[3].

وما نلحظه أن الصراع بين "جوزيف" و"الحاج العطوي" صراع لا اتصال فيه بل يميزه الانفصال، تلك النظرة العدوانية عند الآخر اتجاه الأنا من خلال الرواية تتبدى لنا تلك الصورة التي يحملها الآخر من عداء ورفض، يقول:"فوصل خلافي معه حد التعارك بالأيدي، بسبب حقده العشائري على سليمان وسخريته منه.....يا قواد فرنسا.... ! سأنتقم منك.... ![4]فالحاج العطوي يمثل الضمير الجمعي للذات الجزائرية الرافضة البتة للآخر،

(1) الرواية: ص141.

(2) الرواية: ص28.

(3) الرواية : ص43.

(4)الرواية: ص144.

عزلته عزلا مقصودا عنها وفق رؤية عدائية، فبعدما كان المجتمع الجزائري قادرا على تقبل الآخر المختلف عنه في ثقافته ودينه جاءت فترة الإسلام السياسي الذي جعلته يرتد ردة حضارية ضخمة ويرفض كل من تختلف عنه، وهذا أدى إلى رفضهم لجوزيف الذي يعكس، بينهم منذ أربعين عاما، وحارب معهم في حربهم التحريرية، لكنهم بثقافتهم الدينية الجديدة باتوا يرونه غريبا، كما رأو أن إسلامه غير مكتمل بل هوإسلام ناقص، كما يظهر موقف الرفض المبني على الكراهية تمثله (الأنا) "عبد الكريم الطيطي"، ضد (الآخر) "الحاج جوزيف"يقول: "المدينة كلاوها البرانية (الأجانب)[1]، يعرب "عبد الكريم الطيطي" عن رفضه للأجانب يراهم دخلاء عنهم، أي تفعيل (الأنا) الجديدة لآلية نفي مع الآخر الغربي فعزلة هذا (الآخر) مقصودا عنها ليكون وفق رؤية استعلائية للمهمش الدائم (الآخر) دفعه ليعايش صراع طويل مع هذه (الأنا) ومع طبيعتها الثقافية المتعلقة وإخبار ذاته بالعيش منعزلا من هذه (الأنا) متقبلا لكل التهم التي ألصقت فيه.

منح الروائي "سعيد خطيبي" "الأنا والآخر" حضورا سرديا في الفضاء النصي، يتبدى لنا رفض الآخر للأنا بين "إتيان دينيه" و"الحاج جوزيف" على الرغم أن كلاهما أجنبيان من بلد واحد، إلا أنهما غير متصالحين، فكل ينظر إلى الآخر نظرة عداوة وتنافر، بهذا حاول السارد تصحيح هذا الخطأ تفنيدات لإدعاءات "دينيه" التي جاءت في قصة "بنات أو لاد نائل" يقول "سوف أكتب انتقاما من إتيان وإنصافا لبنات أو لاد نائل الرقيقات الوديعات والمحبات للأجنبي ولابن البلد"[2]

ما يمكن قوله هوأنه إذا كانت هناك أصوات تنادي بالتسامح والحوار بين "الأنا والآخر"، فبالمقابل هناك في الرواية أصوات أخرى تحمل نظرة العداء والكره لكل شخص ينتمي إلى ثقافة مغايرة عنهم.

(1) الرواية: ص132.

(2)الرواية :ص46.

تاسعا- بين الهوية والانتماء:

تتعلق إحدى الإشكاليات في مسألة الهوية بقضية الثبات والتحويل في الهوية، كونها مجموعة من الخصائص التاريخية واللغوية والنفسية أتي تفصل بين جماعة وأخرى، الأمر الذي يجعلها تخرج عن إطار الثبات، فهي نتاج حركة متعاقبة لجملة من الشروط التي تفرض على كل مرحلة مجموعة من التحولات النوعية في المجتمعات البشرية، وتؤدي إلى حدوث نوع من عدم التوازن والاستقرار بين القديم الموروث والجديدة الذي يسعى لتعيين وجوده[1].

تصبح الهوية بسبب الظروف القاهرة التي تواجهها الأنا في بلاد المهجر محل المساومة، إما التمسك والمحافظة عليها، وإما التخلي عنها وفق أنها على مذابح التضحية تحت وطأة الآخر، وهذا ما نلمسه في رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل لسعيد خطيبي" حيث طرحت الرواية إشكالية الهوية من خلال جدل الأنا مع الآخر، الذي أفرز التباسا لدى الآخر في ماهية هويته، مما دفع به إلى الانتفاض بحثا عن هوية جديدة تسعى إلى إعادة الذات المهزومة بانكسارات الغربة والمهجر وقد تجسد ذلك من خلال شخصية "إيزابيل إيبرهارت" الرحالة ذات الأصول السويسرية، التي عاشت جزءا من حياتها القصيرة في الجزائر، تنقلت بين مدنها وصحرائها ودفنت فيها، هذا التشابه بين "جوزيف" و"إيزابيل"، اكتشف ذاته من جديد يقول: «"إيزابيل" كانت صورة مؤنثة مني، نصرانية متأسلمة، قلقة وملعونة، لاهي أوروبية ولا هي عربية»[2].

(1)عهد كمال شلغين: **الهوية العربية صراع فكري وأزمة واقع، دراسة في الفكر العربي المعاصر**، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، (د، ط)، 2015، ص7.

(2) الرواية: ص26.

وفي موضع آخر يقول: «لقد هجرت بلدي ولم أعد أعرف عنه شيئا، مثل إيزابيل التي لم تعرف شيئا عن بلدها الأصلي روسيا»[1] حاول "جوزيف" من خلال هذا التشابه بينه وبين "إيزابيل" أن يحدد هويته وهوية "إيزابيل إيبرهارت"، وذلك من خلال رابط التشابه بينهما، مما يجعل كل منهما يفهم الآخر.

لقد أدرك "جوزيف" أن مصيره سيكون مثل مصير "إيزابيل" التي ضاعت كتاباتها في ريح الجنوب، لقد ألهمه ذلك عشق شخصيتها وعشق نصوصها كما استلهم منها شغفا بالحياة، ومن خلال هذا العشق والتشابه في الشخصية اكتشف ذاته من جديد، عند العمل على نقل نصوصها في لوحاته الفنية.

فيقول: «سأرسم لوحتين أخيرتين ليوميات "إيزابيل إيبرهارت"، أردمها في حديقة البيت، بين الكرمة وشجرة الليمون.... فقريبا، سيدرك أني عشت لأرسم وأدفن فني ...»[2] ويضيف قائلا: «أعددت ترتيب أو راق المخطوط الذي سهت عنه المطابع، دققته، ثم قمت بتحويل ستة فصول منه إلى ست لوحات تشكيلية»[3] إن هذا الحب والشغف بالرحالة "إيزابيل"استطاع من خلاله "جوزيف" أن يكتشف ذاته، ويحقق بذلك التوازن والانسجام في نفسه وشخصيته، ولدت تجربة العيش في الجزائر لدي "جوزيف" شرخا أصاب جهازه الهوياتي يقول: «أعيش بهويتين بوجهين، الأول بفرنسي قروي قديم، خاض حربا عالمية، والوجه الثاني لجزائري دخيل، شارك في حرب تحريرية»[4]، ويضيف قائلا «الناس هنا لم يستوعبوا كيف لفرنسي ميسور الحال، يترك بيته المريح في الضاحية الباريسية يتخلى عن حياة الترف المباحة ويزاحم مشقة العيش... ربما أخطأت يوم قررت المجيء إلى هذه المدينة

(1) الرواية: ص141.

(2) الرواية: ص11.

(3) الرواية: ص155.

(4) الرواية: ص12

المعادية لنفسها»[1] الملاحظ من خلال هذا القول أن بطل الرواية يعيش حالة تأزم كانت نتيجة الاغتراب الذاتي والنفسي، حيث يعيش تمزقا مستمرا لكونه آخر في نظر الجزائريين رغم عيشه مدة أربعون عاما بها، والجدير بالذكر أن هذا الضياع والإحساس بالتمزق الداخلي الذي يعيشه الفرد يؤدي إلى الانفصال عن ذاته، لينتج عنها ذات أخرى مختلفة، كما يوضحه لنا هذا المقطع «أنا لا أنتمي لأية قبيلة من القبائل»[2] معنى ذلك أن "جوزيف" سلب نفسه حق الانتماء إلى الجماعة.

إن نظرة الآخر للأنا ولدت لدى "جوزيف" مشاعر حقيقية في نفسه لم يستطيع بدوره الفرار والتغلب عليها، حيث أصبح يمقت هذه المدينة ويسأل نفسه، لماذا آتى إلى هذه المدينة فيقول: «فقد كنت دائما أطرح على نفسي السؤال نفسه، لماذا أنا هنا، وأتجنب الإجابة عليه...»[3] وتطبيق قائلا: "فلا أنا جزائري كما يلزم لجزائري أن يكون، رغم باسبوري الأخضر... ولا أنا فرنسي كما يليق بابن عائلة عريقة تمتد إلى قرون من الزمن»[4].

إن الذات في هذه الرواية ذات تائهة لا تعرف طريقها، تجمع أحيانا بين متناقضين وتفرق بين المتناسبين، "فجوزيف" قضى مدة طويلة يبحث عن ذاته فيقول: «أربعون عاما قضيتها في التسكع، في معارك نفسي، وفي البحث عن وجه لي»[5] فمدة أربعون عاما مدة طويلة لكنها لم تكن كافية ليجد "جوزيف" نفسه ويتعرف على ذاته، هذه المدة التي التهمت من عمر "جوزيف" شبابه، وقوته، لكن في النهاية لم يحصل بجد على ما بدأ في البحث عنه ولم يتوصل إلى نتيجة تقنعه، رغم عودته إلى "باريس" وهذا ما يجسده المقطع الآتي: «النوم لم يجد حليفي، الأرق وحده يلون ليلي... لم أتعود على الحياة الفرنسية التي غادرتها شابا، كما

(1)المصدر السابق: 12.

(2) الرواية: ص102.

(3) الرواية: ص13.

(4) الرواية: ص45.

(5)الرواية: ص95.

أنني لم أتعود على الوقت ما وبقيت أعيش بتوقيت المدينة التي انقلبت علي، بفارق ساعة، وأتحدث مع "سليمان" بلغته حياتي السابقة، بعربية ممزوجة... أتكلم في البيت بلغة وفي الشارع عندما أخرج لشراء خضر أو خبز، أتحدث بلغة أخرى، أعيش بهويتين»[1].

إن الذات في هذه الرواية تعيش انشطارا ذاتيا بين الهنا والهناك، مما أفقدها الرغبة في الحياة وهذا ما يعرضه لنا هذا المقطع التالي: «أتصور الأرض وهي تدور الآن، تسرع في دورانها، وتطرح الزوائد من البشر، الذين يثقلون حركتها مثلي خارجها، تتركهم يسبحون في الفضاء اللامتناهي بلا وجهة، كجثثبلا هوية»[2].

عاشرا- الأنا بين ذكريات الماضي ومعطيات الحاضر:

تعد الذكريات الرابط الزمني والعاطفي والوجداني الذي لا يستطيع الإنسان حذفه من الأعماق، وكما كان النسيان نعمة كانت الذكريات مؤلمة تحاول النسيان ولكن الذكرى تأتي كمطرقة وهذا ما جسدته رواية "أربعون عام في انتظار إيزابيل" حيث تبقى الأنا في الرواية تقارن بين الماضي والحاضر رغم مرور الزمن.وهذا ما يعرضه لنا هذا المقطع التالي: «كانت تلك هي الفترة التي أحسست فيها بأن البلد لم يعد هونفسه، لم يعد كما عرفته، لقد تغير وأنا بقيت مرابطا وممسكا بأفكاري المستوردة من ماضي بعيد، كان البلد يتحرك وأنا راكد في مكاني»يفصح لنا هذا المشهد إحساس الأنا وتعلقها بالماضي، حيث يبدومنخلال هذا القول تغير البلد من حال إلى حال واختلافه عن الماضي بكثير، كما تبدوالأنا حبيسة الماضي، رافضة للتعبير، حيث أصبح كل شيء غريبا في وجه الذات رغم مرور الزمن.

ويتواصل شوق الأنا إلى الماضي حيث تصور الرواية "المدينة" ومقارنتها بين الماضي والحاضر، فالكلمات والعبارات الآتية تدل على أن الذات من ذكريات الماضي والحاضر

(1) الرواية: ص155.

(2)الرواية: ص45.

حيث يقول: «بوسعادة، الملكة الصهباء، المحروسة بالتلال البنفسجية، كانت ترتدي حدائقها معتمة وتنام بعشق على الحافة المنحدرة للوادي، حيث ينساب الماء على الحجارة البيضاء والوردية، بانحناء كتقاعس حلم على الجدران الترابية الصغيرة... عطرها الفواح كان يعلق في الفتور الرّخوللجومحدثا كآبة رائحة... »[1]

فالراوي في هذه الرواية يصور لنا المدينة، ومقارنتها بين الماضي والحاضر وما آلت إليه في زمن الحاضر حيث نجده يسترجع الماضي فيقول: «تأسست في زمن الفاطميين، أقام فيها أمازيغ وهلاليون...، واحتضنت الفارين من "الأندلس"، مال قلبها للوليين الصالحين "سيدي سليمان" و"سيدي ثامر"، وأسمياها "مدينة السعادة" ثم صارت بوسعادة"وفي هذا المقطع يصور لنا الراوي حال المدينة وما كنت عليه، وفي مقطع آخر يصور لنا حال المدينة وما آلت إليه في الزمن الحاضر وهذا ما يصوره المقطع الآتي: «إنها مدينة مشبعة بالأوهام وبالسقطات تتقلب حول ماضيها بلا كلل ... وصارت حصنا للعاهرات الشريفات وفتحت رجليها للقوادين...»[(2)] لنا هذا المشهد حالة الضياع والإحساس بالتصرف الداخلي الذي تعيشه الذات جراء ما آلت إليه هذه المدينة، التي أفنى عمره فيها والتي تكون اسمها بعد مدة لتستقر على اسم "بوسعادة".

نجد الذات في الرواية تنتقل بين الحاضر والماضي، حيث تبدوغير مقتنعة بواقعها وغير راضية عن الزمن الذي تعيش فيه.

(1)الرواية :ص95.

(2) الرواية :ص96.

خاتمة

خاتمة:

إنتهى هذا البحث الذي يعتبر مقاربة نظرية إلى النتائج الآتية:

– إن ثنائية الأنا والأخر نتجت بسبب الصراع القائم بين الشعوب المختلفة وذلك بسبب الإختلاف الديني والعقائدي والفكري، إن العلاقة بين الأنا والأخر علاقة تلازمية إذ لا يستغني أحدهما عن الأخر على الرغم من التناقض الحاصل بينهما.

– كشفت رواية أربعون عاما في إنتظار إيزابيل عن جرأة كبيرة في نقد المجتمع ومحاربة سياسة التهميش والإقصاء والتعصب من خلال الجو المشحون الذي شهدته الجزائر منذ نهاية الثمانينيات، مما أدى إلى طرح سؤال الهوية بشكل صارم في الرواية.

– تمكن الكاتب من سرد أحداث روايته لعدة شخصيات حكائية ساهمت في إضفاء جمالية كبيرة على العمل الروائي وهذا لأنها تميزت بالواقعية.

– رواية أربعون عاما إنتظار إيزابيل تروي الأحداث المتصلة بالبطل بشكل مباشر وبتالي كانت هذه الشخصية مدار الأحداث.

– يتواشح خطاب الهوية في رواية أربعون عاما في إنتظار إيزابيل مع كل ماهو ديني، ثقافي، إجتماعي.

– وردت جميع الإسترجاعات والإستباقات على لسان السارد وهو البطل (جوزيف).

– إن جوهر رواية سعيد خطبي الأكثر عمقا هو رد الإعتبار للرحالة إيزابيل وتصحيح الشائعات التي نسجت حولها من الشبهات في الجنوب الجزائري الجاسوسين الذي أدينت به محاولا جديد لإمرأة غربية إعتنقت الإسلام وعاشت في صحراء الجزائر.

مكتبة البحث

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

أ- المصادر الأساسية:

1- سعيد خطيبي، أربعون عاما في انتظار إيزابيل، مكتبة نوميديا، منشورات الاختلاف منشورات الضعاف، الجزائر العاصمة، بيروت، ط1، 2016.

ب- المراجع العربية

2- أحمد ياسين السليماني، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، دار الزمان، دمشق، سوريا، ط1، 2009.ندى بنت محمد العازمي، الذات في شعر حسين، دار النشر سرحان، ط1، 2010.

3- تركي الحمد، الثقافة العربية في عصر العولمة، مكتبة النرجس، دار السلفي، ط2، 2000.

4- جميل صليبا، علم النفس، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، ط2، 1984.

5- جورج طرابيشي، شرق وغرب رجولة وأنوثة، دراسة في أزمة الحبس والحضارة في الرواية العربية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (1977، ط1- 1997، ط4).

6- حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب التراث والتجديد، موقفنا من التراث العربي، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط).

7- سالم معوش، صورة الغرب في الرواية العربية، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

8- سماح خالد زهران، كيف تفهم نفسك وتفهم الآخر؟ دار الفكر العربي، مصر، ط1.

الطاهر لبيب، صورة الآخر ناظرا ومنظورا إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1990.

9- عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج1، المؤسسة العربية، مصر، ط1، 1984.

10- ماجد مصطفى، في الأدب العربي الحديث والمعاصر، دار الكرز للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، ط1، 2005.

11- ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر نماذج روائية عربية، عالم المعرفة، الكويت، (د.ط)، 2013.

12- محمد الغزالي، معركة المصحف في العالم الإسلامي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة-مصر ط5، 2005.

13- محمد عابد الجابري، مسألة الهوية العروبة والإسلام... الغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط4، 2012.

14- مصطفى سويف، الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، مكتبة لسان العرب، دار المعرف، مصر، د.ط، 1951.

15- ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي (إضاءة لأكثر من تسعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا)، المركز الثقافي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 2007.

16- نادر كاظم، تمثيلات الآخر، صورة السرد في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1.

17- نجم عبد الله كاظم، نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، دار الفارس، بيروت، لبنان، ط1، 2013.

ب- المراجع العربية:

18- أحمد حميد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الفارس للنشر والتوزيع، بيروت، عمان، ط1، 2004.

19- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، (د.ط)، 1990.

20- خليل نوري مسيهر العاني، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، دار الكتب والوثائق العراقية، العراق، بغداد، ط1، 2009.ج

21- سيد علي إسماعيل، أثر التراث العربي في المدح المصري المعاصر، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1،2017.

22- الشريف حبيلة، مكونات الخطاب السردي مفاهيم نظرية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011.

23- صالح صالح، سرد الآخر والآخر عبر اللغة السردية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

24- صبيحة عودة زعرب، جماليات السرد والخطاب الروائي غسان الكيفاني، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2005.

25- عبد المنعم زكريا القاضي، البنية السردية في الرواية، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، ط1، 2009.

26- عهد كمال شليغن، الهوية العربية صراع فكري وأزمة واقع، دراسة في الفكر العربي المعاصر، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، (د.ط)، 2015.

27- محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، دار النهضة والنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، ط1، 1994.

28- مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الفارس للنشر والتوزيع، بيروت، عمان، ط1، 2004.

29- نهال مهيدات، الآخر في الرواية النسوية العربية، في خطاب المرأة والجسد والثقافة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، (د.ط)، 2007.

ج- المراجع المترجمة

30- أندريد لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، مجلد 1، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان،ط2، 2001.

31- بول ريكور، بعد طول تأمل، تر: فؤاد مليت، دار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 2006.

32- بول ريكور، فلسفة الإدارة الإنسان والخطاء، تر: عدنان نجيب الدين، المركز الثقافي، لمغرب، لبنان، ط2، 2008.

33- تزفيتان تودروف، فتح أمريكا مسألة الآخر، تر: بشير الساعي، دار سينا للنشر، مصر، (د.ط)، 1992.

34- جان بول سارتر، الوجود والعدم، تر: عبد الرحمان بدوي، لبنان، ط3، (د.ت).

35- روني إيلي ألفا، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، تر: جورج نخل+ ج2، دار المكتبة العلمية، مكتبة مؤمن فريش، بيروت، لبنان، ط1، 1992.

36- السيد عمر، الأنا والآخر من المنظور القرآني، تر: أبوالفضل ونادية محمود مصطفى، دار الفكر، سوريا، (د.ط)، 2008.

37- شلوميت ريمون كنعان، التخييل القصصي (الشعرية المعاصرة)، تر: لحسن أحمامة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، 1995.

38- صامويل هنتجتون، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، تر: طلعت الشايب، دبي، ط2، 1999.

39- فريدريك هيغل، فينومينولوجيا الروح، تر: ناجي العونلي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، (د.ت).

40- لافين ت.ز، من سقراط إلى سارتر البحث الفلسفي ، تر: أشرف محمد كيلاني، المركز القوميللترجمة، ط1، (د.ت)

41- ميشال بوتور، التحول، تر: هناء صبيحي، دار الكتب الوطنية، أثناء النشر، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2010.

د- المجلات والدوريات

42- مجلة أكاديمية في الأدب واللغة والثقافة والفكر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ع2، 2015.

43- مجلة الأثر، جامعة بسكرة، الجزائر، ع23، 2015.

44- مجلة الأثر، جامعة بسكرة، ع10، 2017.

45- مجلة الأثر، ع25، 2016.

46- مجلة جامعة بغداد ، العراق ، ع103، 2019.

47- مجلة جامعة بغداد، العراق، ع103، 2019.

48- مجلة كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة الفيوم، مصر، ع3.

هـ- المعاجم والقواميس

49- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، تركيا، ط2، 1972.

50- ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي أبوالفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ج1، ط4، 1999.

51- جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات الفلسفية، دار الجنوب، النشر نهج فلسطيني، تونس، (د.ط)، 2004

52- جميل صليبا، علم النفس، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، ط2، 1984.

53- روحي البعلبكي، المورد قاموس عربي- إنكليزي، دار العلم الملايين، بيروت، لبنان، ط7، 1995.

54- لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية (عربي، إنكليزي، فرنسي)، مكتبة بيروت، لبنان، ط1، (د.ت).

55- لويس معلوف، المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرف والمكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، ط3، 1991.

56- مجموعة من الباحثين، المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرف، بيروت، لبنان، ط9، 2000.

57- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، 1982.

و- الرسائل الجامعية:

58- أشابوت ذهبية، تشلل الذات في رواية الذهبي لـ لوكيوس ألوليوس النوميدية، سنيمائية ثقافية، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2010.

59- رولا خالد محمد غانم، الآخر في شعر المتنبي، إشراف: عبد الخالق ميس، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2010.

60- سعد سامي محمد، الأنا والآخر في المعلقات العشر، رسالة ماجستير، إشراف: جنات

61- محمد عبد الجليل، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة البصيرة، العراق، 2012.

62- صوافي بوعلام: محددات الأنا والأخر في المتن الروائي الجزائري الجديد، أطروحة جامعية لنيل شهادة دكتوراه، جامعة بن بلة، وهران، 2014-2015.

63- محمود رجب، المرأة والفلسفة، حوليات كلية الآداب، الحولية الثانية، جامعة الكويت.

64- وليد حامد محمد الجعل، شعرية السرد في روايات ليلى العثمان، إشراف: وليد محمود أبوندى، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2015.

- https://ar.kangenii.com/wiki/james mark- balda wan.
- https://ar.Kargenie.com/wiki/charles-cooley
- https://ar.m.wikipedia.org
- https://ar.sainte-anastasie.org
- https://arim.wikipedia.org
- https://drabben.wordpress.com
- https://drabben.wordpress.com.cdn
- https://hel5mah.org
- https://m.marefa.org
- https://manifest.univ-ouargla.dz
- https://minisbooks.com
- https://www.almothaqaf.com
- https://www.alriyadh.com/39035.
- https://www.arageek.com/bio/.....-heidgger
- https://www.arageek.com/bio/al-nutanobi
- https://www.goodtherapy.org
- https://www.googlampe/s/com (drebbass word press.com/2013.
- https://www.ibe…..com
- https://www.syr-res.com?r1246

فهرس الموضوعات

المحتوى	الصفحة
مقدمة.	01
الفصل الأو ل: الأنا والآخر محددات نظرية ومفاهيم اصطلاحية	
أو لا: الأنا بين المفهومين اللغوي والاصطلاحي	06
1. لغة	06
2. اصطلاحا	07
3. الأنا في الفلسفة	10
4. الأنا في المنظور النفسي	12
5. الأنا في منظور علم الاجتماع	15
6. الأنا في المنظور القرآني	16
7. الأنا في المنظور في النص الإبداعي	18
ثانيا: الآخربين المفهومين اللغوي والاصطلاحي	20
1. لغة	20
2. اصطلاحا	21
3. أبعاد الآخر	22
أ. الآخر الحميم (أنت)	23
ب.آخر القريب (نحن)	24
ج. آخر الآخر	25
د. آخر نحن وتكوين الهوية	26
هـ. آخر الآخر (هم)	27
و. آخر الآخر هم الصديق أو العدو	27
4. الآخر في الفلسفة	28
5. الآخر في المنظور النفسي	32
6. الآخر في منظور علم الاجتماع	34
7. الآخر في المنظر القرآني	36
8. الآخر في الشعر	38

9. الآخر في المنظور العربي	**39**
ثالثا: جدلية الأنا بالآخر	**41**
رابعا: تجليات الأنا والآخر في الرواية العربية	**46**
الفصل الثاني:تمثيلات الهوية وأبعادها وتجلياتها في المدونة	
أولا: تمثيلات الهوية	**59**
1. الهوية الدينية	**59**
2. الهوية الثقافية	**63**
ثانيا: تجليات الأنا والآخر عبر ضمائر السرد	**69**
1. الأنا عبر ضمائر السرد	**69**
2. الآخر عبر ضمائر السرد	**73**
ثالثا: أبعاد الهوية	**76**
1. لغة	**76**
2. اصطلاحا	**76**
أ. البعد الوطني	**77**
ب.البعد الديني	**78**
ج. البعد الإنساني	**79**
رابعا: علاقة الشخصيات بالأمكنة	**79**
1. علاقة تنافر	**80**
2. علاقة انتماء	**82**
3. علاقة حياد	**83**
خامسا: الذات في الرواية	**84**
1. الأنا القلقة	**85**
2. الأنا التائهة	**88**
سادسا: علاقة الذات بالزمن	**90**
1. الزمن في الرواية	**91**
2. الاسترجاع	**91**

أ. الاسترجاع الخارجي	**92**
ب.الاسترجاع الداخلي	**94**
3.الاستباق	**95**
أ. الاستباقات الخارجية	**95**
ب.الاستباقات الداخلية	**97**
سابعا: الصراع داخل الرواية	**98**
1. صراع الأنا والأنا	**98**
2. صراع الأنا والآخر	**100**
تاسعا: بين الهوية والانتماء	**104**
عاشرا: الأنا بين ذكريات الماضي والحاضر	**107**
خاتمة	**111**
قائمة المصادر والمراجع	**113**
فهرس الموضوعات	**121**
ملخص	**124**

ملخص البحث:

إن الحديث عن الأنا هوالحديث عن الآخر، حيث لا يمكن الفصل بينهما إذا العلاقة التي تربطهما ذات أبعاد اجتماعية سياسية، ثقافية، وحضارية، مثلت الهوية في رواية "أربعون عاما في انتظار إيزابيل" لسعيد خطيبي جوهر وثورة الصراع الداخلي والخارجي، بوصفها القوة الخفية التي تحرك الأنا والآخر، وفي فحوى ذلك عرجنا في الفصل الأول إلى مفهوم كل منهما، وانتقلنا إلى تبيان تمثلاتهما في الفصل التطبيقي، وختاما قدمنا أهم النتائج النهائية بخصوص هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الأنا، الآخر، الهوية، الاسترجاع، الاستباق.

Abstract:

Talking about the ego is talking about the other, as it is impossible to seperate them, as the relationship between them has social, political, cultural, and civilized dimensions, the identity id represented in the novel “forty years waiting for Isabelle”by “Said Khatibi”, the essence of the subject and the focus of internal and external conflict, as the hidden force that moves the ego, and the other in the context of that, in the first chapter, we referred to the concept of each of them, and moved to clarifying their representations in the applied chapter, and finally, we presented the most important final results regarding this study.

Keywords: ego, otherness, identity, retrieve, anticipate.

Abstrait

Parler du moi, c'est parler de l'autre, tant il est impossible de les séparer, tant la relation entre eux a des dimensions sociales, politiques, culturelles et civilisées, l'identité id représentée dans le roman "Quarante ans d'attente pour Isabelle" de " Said Khatibi", l'essence du sujet et le foyer du conflit interne et externe, comme la force cachée qui meut l'ego, et l'autre dans le contexte de cela, dans le premier chapitre, nous avons fait référence au concept de chacun d'eux , et nous sommes passés à clarifier leurs représentations dans le chapitre appliqué, et enfin, nous avons présenté les résultats finaux les plus importants concernant cette étude.

Mots-clés : ego, altérité, identité, récupérer, anticiper.